الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعو الجيلالي بونعامة –خميس مليانة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الموضوع:

رواية ابن الفقير لمولود فرعون بين البعد السوسيولوجي وبناء الهوية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في شعبة الأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:
- بلخباز حنان
- تيغات أمينة

إشراف الأستاذة:
بلحوالة سهيلة

السنة الجامعية: 2022-2023

إهداء

الحمد لله الذي أعاننا على نهاية هذا الجهد المتواضع فأهديه إلى:

القلب الذي يعطي بسخاء، فلولاكما لما كنا ولا صرنا (أبي ، أمي)

إلى أصدقائي الذين قضيت معهم جمل الأيام في المدرسة.

إلى من علمونا حروفا لا تقدر بثمن أساتذتنا الكرام.

شكر وعرفان

لا شكر لمخلوق قبل شكر الخالق عز وجل الذي فتح أمامنا الأبواب ووهبنا القدرة على طلب العلم وفضل علينا بنعمته وهي الإسلام.

ثم نتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة بلحوالة سهيلة على نصائحها القيمة وتوجيهاتها الحكيمة التي أنارت دروب هذا البحث حفظها الله على أنه شرفتنا بقبولها الإشراف على مذكرتنا وعلى توجيهنا وإرشادنا ومنحنا الثقة والعزيمة ولم تبخل علينا بوقتها الثمين.

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم الآداب العربي وكل الشكر والامتنان لمن قدم لنا يد العون ولو كان بسيطا.

الفهرس

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	
الفصل الأول: هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية	
المبحث الأول: الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية (نشأته وتطوره وعلاقته بالمجتمع)	
1- نشأة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية	
2- تطور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية	
3- الرواية الجزائري المكتوب بالفرنسية وعلاقتها بالمجتمع	
المبحث الثاني: تجليات الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية	
- ملخص الرواية	
- الشخصيات	
- الزمان والمكان	
المبحث الثاني: دراسة سوسيولوجية لرواية وتجليات الهوية فيها	
- صورة المجتمع الجزائري في الرواية	
- أهم القضايا الاجتماعية في الرواية	
- مظاهر الهوية الثقافية في الرواية	
خاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	
الملحق	

مقدمة:

تعتبر الرواية النوع المسيطر أو الغالب على الأداء الجزائري المكتوب بالفرنسية، فجاءت لرد على الاستعمار وجسدت مظهر من مظاهر الدفاع والمقاومة... بحيث تمكنت من فرض نفسها على الساحة الأدبية قطعت أشواطا كبيرة للوصول إلى ما هي عليه الآن، فقد اتخذت من لغة العدو سلاحا ضده وعبرت عن حقبة استيطانية طويلة، بحيث شكلت الوعاء الأمثل لترسيخ الواقع والمجتمع،فهي تعتبر بمثابة مرآة عاكسة له، لارتباطها المباشر بالأوضاع السائدة فيه، فقد عالجت مواضيع عديدة خاصة المتعلقة بالجانب السيسيولوجي .

فقد كان الروائيون الجزائريون شهودا على أوضاع مجتمعهم متفاعلين مع ما يجري حولهم فقد كرسوا أقلامهم خدمة للشعب الجزائري فكانت نصوصهم الروائية عبارة عن رد فعل صادق وصريح يحمل في طياته آلام وآمال هذا الشعب، فأصبحت بهذا الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية الجسر الأكثر تعبيرا عن الواقع وعن مختلف إشكالاته وقضاياه وفي مقدمتها إشكالية الهوية الوطنية التي باتت مهددة في ظل ما يشهده الواقع من تحولات وتغيرات.

فقد واجهت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية نقدا لاذعا مس صميم مبادئها وأسسها، خاصة هويتها الوطنية، فالكتاب الجزائريين من الأصول الغربية الذين كتبوا بالفرنسية قد ضاعوا بين محاولة تأكيد هويتهم العربية الإسلامية، وبين التشكيك في أهدافهم العميقة بلغة غريبة فرضت عليهم أيضا، وهذه الأسباب جعلتهم يشعرون أنهم أيتاما منفيين في ضفة فرضت عليهم لكونهم ينتمون إلى وطن ويعبرون عن واقعهم بلغة غريبة عن أصالتهم وانتماءهم .

إن دراسة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من المواضيع الحساسة والهامة فلطالما كانت محل اهتمام ونقد، سواء كان ذلك من المتلقي العربي أو الأجنبي وقد لاقت اهتماما

كبيرا رغم انها من المواضيع الشائكة في الكتابات الادبية القديمة والحديثة من حيث التشكيك في شرعيتها وانتماءها وكذا مضامينها فأغلب هذه الروايات كان أساسها الواقع المجتمع الجزائري.

يعتبر مولود فرعون من بين أكبر الروائيين الجزائريين الذين رصدوا الأبعاد السوسيولوجية في رواياتهم خاصة رواية ابن الفقير" كما أثريت حوله إشكالية الهوية، وهذا الأخير كان موضوع بحثنا ومصب اعتمادنا حول" رواية ابن الفقير لمولود فرعون بين البعد السوسيولوجي وبناء الهوية الوطنية"

اما الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع فتعود :

أولا: أسباب ذاتية

تتمثل في رغبتي في دراسة ادب مولود فرعون واختيار روايته ابن الفقير نموذجا للروايات الأخرى أيضا لتحقيق فضولي في الغوص داخل الرواية.

ثانيا: أسباب موضوعية

المتمثلة في الكشف عن واقع المجتمع الجزائري بالإضافة إلى ما أثير حول ظاهرة الهوية الوطنية الجزائرية في الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية من مناقشات وقضايا علمية، هو ما دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع بغية الوصول إلى أهم النقاط والحقائق والإلمام بجوانب البحث طرحنا الإشكالية التالية:

- ما هي علاقة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بالمجتمع؟
- ما هي الأبعاد السوسيولوجية التي برزت في الرواية؟
- هل استطاع مولود فرعون تقديم صورة شاملة للمجتمع الجزائري في الرواية؟
- ما علاقة الهوية بالرواية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات جاءت الدراسة موزعة على فصلين، فصل نظري وفصل تطبيقي فضلا مقدمة وخاتمة.

أما الفصل الأول موسوم بهوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وقد توزع مسار البحث فيه على مبحثين، كان أولهما بعنوان الأدب الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (نشأته وتطوره وعلاقته بالمجتمع)

حاولنا من خلاله الوقوف على ثلاثة نقاط مهمة أولا نشأة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أما ثانيا وقفنا عند تطوره ثلاثا علاقة بالمجتمع.

اما المبحث الثاني فقد كان بعنوان تجليات الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية فقد خصصناه للبحث في ماهية الهوية وعلاقتها بالثقافة وكذا تبيان إشكالية الهوية والانتماء وطريقة تمظهر الثقافة الجزائرية.

أما الفصل الثاني موسوم ب: تجليات البعد السوسيولوجي والهوية الوطنية في الرواية

وقد قسمنا هذا الفصل بدوره إلى مبحثين أما المبحث الأول فقد عنونته بـ ملخص الرواية ودراسة أبعاد الشخصيات، الزمان والمكان) وقسمناه إلى ثلاثة نقاط فالنقطة الأولى كانت عبارة عن ملخص أما الثانية فعرضنا فيها الشخصيات الرئيسية والثانوية في الرواية أما الثالثة عرضنا فيها عنصري الزمان والمكان.

اما المبحث الثاني فهو معنون بدراسة سوسيولوجية لرواية ابن الفقير وتجليات الهوية فيها فقد تناولنا فيه ثلاثة نقاط مهمة أولها صورة المجتمع الجزائري في الرواية ثانيا أهم القضايا الاجتماعية في الرواية ثالثا تناولنا مظاهر الهوية الثقافية في الرواية.

وفي الأخير نهينا بحثنا بخاتمة أجملنا فيها ما استخلصناه في هذا البحث

وقد استفدنا في هذا البحث من دراسات سابقة منها:

- تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) لعايدة أديب باهية
- الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، مؤلف ل: منور أحمد
- الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيولوجية نقدية مؤلف ل: جبور أم الخير.
- ولتحقيق هذه الغاية والإلمام بجوانب موضوع مذكرتنا اعتمدنا على المنهج التحليلي والوصفي.

الحمد لله على وصول هذا البحث إلى نهايته التي نرجو أن تكون مشرفة وفي هذا الصدد نتقدم بجزيل الشكر للأستاذة الفاضلة بلحوالة سهيلة التي ساعدتنا وأرشدتنا لإكمال هذا البحث وإخراجه في هذه الحالة

خطة البحث

الفصل الأول هوية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

1. نشأة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية
2. تطور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية
3. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وعلاقتها بالمجتمع

المبحث الثاني: تجليات الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

1. مفهوم الهوية ومكانتها الثقافية والاجتماعية واللغوية
   - مفهوم الهوية وخصائصها.
   - العلاقة بين الهوية والثقافة
   - مفهوم الثقافة وخصائصها
   - المكونات الثقافية للهوية

2- الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء

مظاهر الثقافة الجزائرية في الرواية المكتوبة بالفرنسية

المبحث الأول: الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية (النشأة تطوره وعلاقته بالمجتمع)

1- نشأة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

أ- الظروف العامة لميلاد الأدب الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

- **حرب الإبادة المادية:**

عند نزول القوات الفرنسة على ساحل سيدي فرج في 14 جوان 1830م، كان ذلك بمثابة أول خطوة لتنفيذ أجندة أعدت إعدادا محكما ومسبقا هدفها الأسمى إبادة الشعب الجزائري والاستيلاء على خيراته.

ومن أجل ذلك استخدمت فرنسا أبشع وسائل الحصار والتقتيل ذد الشعب أعزل، فكشف هذا الدخيل عن وجهه القبيح، وجردهن كل القيم الإنسانية والأخلاقية وتفنن في صناعة الموت ونشر الخراب والخمار وراح ينادي بشعارات خدمة لمشروعه ويطبق سياسات أخاطها على مقاسه منها: سياسة الأرض المحروقة والتي لخصها في أمر عسكري مفاده:

" منع العرب من الزرع، والحصاد والرعي"[1]

أما عن تلك الجرائم البشعة التي كانت ترتكب في حق المدنيين من قتل وتشريد وتهجير وسجن وتعذيب فكانت تمارس برغبة وتلذ من طرف القادة العسكريين أنفسهم.

" وكان الضباط أنفسهم يكتبون منها بكثير من التفاصيل وفي شيء من الزهو والتلذذ وبفضل كتابات تلك صار بين أيدي الباحثين اليوم شهادات تاريخية على قدر كبير من الدقة"[2]

---

[1] أحمد منصور، الادب الجزائري بلسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه ديوان المطبوعات الجامعيية الجزائر، 2007، ص 32

[2] المرجع نفسه ، ص 33

وبهذه المناسبة مزق الاستعمار النسيج الاجتماعي، ضف إلى ذلك الإلغاء الديني والجنسي إنها حرب إبادة استهدفت البشر والحجر وأهلكت الإرث والنسل، وأضحى الجزائري غريبا في أرضه يصارع على عديد الجبهات، الأوبئة والأمراض، الجهل الجوع...إلخ، أدى ذلك إلى تناقص عدد الجزائريين ، بشكل يدعو للقلق.

" وكاد هذا الوضع أن يؤدي بهم كما تدل الإحصائيات إلى الإنفراض الفعلي فقد قدر الجنرال بيجو سكان الجزائر سنة 1844 بحوالي أربعة أو خمسة ملايين نسمة ولكن عددهم تناقص في سنة 1872 إلى أقل من نصف هذا العدد أدى إلى مليونين ومائة

وخمسة وعشرون ألف نسمة"[1].

ومما زاد الأمور سوءا الاستيلاء على الأراضي وتعميرها بالعنصر الأوروبي وسخرت القوة العسكرية لتحقيق هذا الهدف.

كل ذلك كمقدمة لكشف النقاب على المبادئ العقدية للاستعمار من أجل فهم وعدم استغراب أي سلوك ناجم عنه وإدراك قيمة تطور النزعة العسكرية" حتى تجاوزت الهدف الذي وضعته أمامها لنفسها، وصارت لا تقف عندها"[2]

وكلما أجرموا فتحت شهيتهم أكثر للمزيد من الإجرام بل ارتكاب جرم أكبر، وتسندهم في ذلك قوة عسكرية أضحت أداة طبيعة أيديهم، تأتمر بأوامرهم وتنتهي بنهيهم، وتحرص على تنفيذ رغباتهم في غير توان أو فتور.

ثم سن المشرع الفرنسي عددي القوانين ومنها قانون" الأندجينا" القعمي الخاص بالجزائريين وحدهم وهو قانون يلحق العار بمن شطره ومن سهر على تنفيذ على حد سواء، قانون جائر

---

[1] المرجع نفسه، ص44.

[2] مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ت. حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، 2007، ص 107.

هدرت فيه كرامة الجزائري وقهرت به إرادته وحمل في طياته نصوص وتشريعات لا يمكن تخليها" من تقويم جماعي وتسخير في الأعمال الشاقة وتصفية جسدية وحجز ونقي، حيث كان هذا القانون يبيح للإدارة المحلية توقيف أي جزائري وإنزال أقصى العقوبات عليه دون الرجوع إلى المؤسسات القضائية"[1].

ونتيجة لهذه القوانين، وبعد مباشرة تطبيقها تظهر آثارها السلبية التي أثلجت قلوب (الجزائريين) المستعمرين كما جاء في ذلك في عنوان كتاب لتوماس دوكوانسي[2]: " بأن الحرب صارت تعد من الفنون الجميلة"

وأورد الدكتور مصطفى الأشرف عدة أمثلة استشهد بها عن جرائم الاستعمار واستقاها من هذا الكتاب، وكانت بمثابة شهادات حية على لسان القادة العسكريين فجاء على لسان الكومندان ويستي متحدثا عن حملة عسكرية قادها بنفسه في حنوت بمقاطعة الجزائر:" إن عدد الدواوير التي أحرقت المحاصيل الزراعية التي أتلفت، لا يكاد يصدق فلم يكن أحدنا يرى على الجانبين من الطابور سوى النيران"[3].

هذه السياسات التعسفية التي أسلفنا وصفها بأنها لم يسلم منها لا الشجر ولا الحجر ولا مواشي ولا بشر.

حيث كبت الكولونيل فوري منتشيا بحجم الخسائر التي ألحقها جنوده بالجزائريين في حملته العسكرية التي اجتاح بها كلا من : مليانة، شرشال، فيصرح بكل دم بارد:اختطفنا فن هذه الحملة ثلاثة ألاف من رؤوس الأغنام وأشعلنا النار فيما يزيد على عشرة من القرى الكبرى، وقطعنا وأحرقنا أكثر من عشرة آلاف من أشجار الزيتون والتين وغيرها.."[4]

---

[1] أحمد منور، مرجع سابق، ص 52.

[2] مصطفى الأشرف، مرجع سابق، ص 108.

[3] مصطفى الأشرف، مرجع سابقن ص 08

[4] مصطفى الأشرف، مرجع سابقن ص 08

هذه الممارسات تهدف بالدرجة الأولى إلى قذف الرعب والفزع في نفوس الجزائريين ومن ثم إخضاع البلاد وارتقاء أعلى درجات (سلم) سلم المجد إنها أشبه ما تكون:" الحرب من أجل الحرب، أو التغني الرومانسي بالقتل"[1].

أما روبير ميل كتب رواية تحت عنون:" مهنتي هي القتل" بطلها ضابط نازي لديه نزعة عدوانية وحشية وحقد كبير على العرب والمسلمين وهذا ما يبرر تسمية كتبته بكتيبة" مشاة الموت"

اما الجنرال شانغاراتي كان صريحا قال: بأن الجيش الفرنسي مهنته يتسلط على أوراق الناس وأملاكهم، من أجل إرغامهم على الخضوع"[2].

حرب الإبادة المعنوية:

إلى جانب حرب الإبادة المادية التي مارستها السلطات الاستعمارية على الجزائر أرضا وشعبا هناك حرب إبادة أخرى لا تقل عنها ظروفا وفتكا إنها حرب الإبادة المعنوية التي استهدفت بدورها ضرب القيم الروحية في مقتل.

تفرعت حرب الإبادة المعنوية بدورها إلى شقين هما: هدم وتدمير البنيات الثقافية والاجتماعية والتشريعية والروحية الشعب الجزائري وإطلال بنيات أخرى محلها مستمدة من ثقافة المستعمر ونظمه الاجتماعية"[3]

وهذا ما يعرف بالتحلية، حيث ضرب الاستعمار كل المبادئ والقيم والمعاهدات وداس المقدسات فلم تسلم دور العبادة ولا المدارس حيث: تم الاستحواذ على جزء كبير من المساجد واكترى ببعضها إلى التجار وحولوها إلى محلات، وخصص بعضها الآخر سكان جيوش

---

[1] مصطفى الأشرف، مرجع سابقن ص 114

[2] المرجع نفسه، ص 114

[3] أحمد منصور، مرجع سابقن ص 55

الحملة وأعطى الجنرال كلوزيل أوامره بهدم محلات بيع الكتب وسوق المقاييس وسوق الصباغين وأصبح عمالها بعد تهديمها بدون مورد"[1]

ولم تسلم المقابر كذلك هي الأخرى مشابهة حيث امتدت لها يد الاحتلال وعبثت بأحجارها وعظام الموتى.

كل هذا كان مقدمة للممارسة حرب الإبادة المعنوية لتأتي بعدها" خطوات لاحقة شملت أملاك الحبوس الإسلامية والإدارة والتشريعات والقوانين والتعليم وكل شؤون الحياة العامة"[2].

حيث سعى الاستعمار جاهدا لتجهيل الأمة الجزائرية وإبعادها عن ثوابتها وتراثها الفكري، ومقوماتها الحضارية، من تعلم اللغة العربية والأدب والتاريخ رغبة منه في طمس معالم الشخصية الجزائرية بمقوامتها العروبة، الامازيغية، الإسلام.

وفي سنة 1883 عندما اتخذ قرار فتح المدارس في وجوه الجزائريين كان ذلك لتبين صورته خارجيا، أما نوعية التعليم المقدم حينها فكان حقا أريد به باطلا، فلم يكن الهدف منه استجابة للخناجر المبحوحة والأصوات العطشى من الجزائريين المنادية لحقها في المعرفة والتعليم إنها الهدف الأساسي تقريبهم من فرسنا لغة ووطنا لتسهيل عملية إدماجهم لاحقا ويلخص الدكتور أحمد منور مخطط حرب الإبادة المعنوية في أربع نقاط هي:

1. الاستيلاء على أملاك الوقف لتجفيف منابع التمويل عن المؤسسات إسلامية.
2. تغيير نظام التعليم السائد في لغته ومحتواه.
3. القيام بحملات التشجير الواسعة لتنصير السكن.
4. تزوير تاريخ الجزائر وطمسه وتشويهه إن تعذر طمسه[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 57

[2] المرجع نفسه، ص 57

[3] احمد منصور، مرجع سابق، ص58

فقرار الاستيلاء على أملاك الوقف التي كان ينظر لها على أساس انها المصدر الأساسي وخزان إمداد لا ينضب للمقاومة، كان في منظور السلطات الاستعمارية أنه الاستيلاء عليها يتم القضاء على المقاومة من جهة وتعطيل العمل بمبادئ التشريعية من جهة ثابتة حيث قال:

صدر قرار الاستيلاء على أملاك الوقف الإسلامية العامة في الثامن ديسمبر 1830 وكان عددها 2600 وقفا، وكان قرار التأميم بحجة أن لا تشغل أموال الأوقاف في إشعال وتموين الثروات...[1]

كما عمدت السلطات الاستعمارية إلى إلغاء العمل بالأعراف والنظمات القانونية والإدارية المقصودة وبحجية أنها مستمدة من الشريعة الإسلامية وجردت القضاة من مهامهم وخلصت نشاطهم خاصة فيما يتعلق بالحكم كالجنايات والجنح حيث أصبح الحكم فيها حكرا لدائرة الاستئناف الفرنسية.

أما المحاكم الجزائرية التي كان لها دور كبيرا في تثبيت الاستقرار والحفاظ على حقوق الناس منذ عهد الداي فأصبح وجودها صوريا وفي ظل حرب الإبادة المعنوية عمدت السلطات الفرنسية إلى محاربة اللغة والمدارس الجزائرية كما جاء على لسان الدوق روفيكو قائلا: أرى أن نشر لغتنا هي الوسيلة الأكثر فعالية لفرض هيمنتنا في هذا البلد ..إن المعجزة الحقيقية التي علينا أن نضعها هي أن تحل اللغة الفرنسية شيئا فشيئا محل العربية بحيث نتمكن عن طريق هذا الإجراء من نشر لغتنا بين الأهالي"[2]

فأخذت السلطات الاستعمارية على عاتقها تغيير نظام التعليم ولغته كما عمدت إلى تزوير التاريخ وتشويهه، وقامت بحملات التبشير الواسعة لتنصير السكان وبعد تنفيذ كل هذه المخططات توهمت فرنسا أن الجزائر أصبحت قطعة منها حيث أنها في سنة 1930

---

[1] مرجع سابق، ص 60

[2] مرجع سابق، ص 57

احتفلت بمرور قرن على احتلال الجزائر وكانت حينها تظن بأنها قضت نهائيا على الشخصية الجزائرية وأن احتفالها هذا إنما هو احتفال بالجزائر الفرنسية.

وإدماجها تماما الجزائر فرنسية التي قال عنها فرحات عباس وإن هذه العبارة وحدها لكفر بالنطق السليم ترى من جهة عشرة ملاين من الجزائريين طرحوا إلى الحضيض الأسفل في المجتمع يزعم أنه عصري ومتدين ومن جهة أخرى نرى (80 ألف) 800 ألف أوروربي جاءوا من كل درب وصوب واستأثروا بالوظائف كلها وتقلدوا زمام الحكم واغتصبوا ثروات البلاد العربية وهذه هي الصورة الناطقة لما يسمونه بالجزائر الفرنسية"[1]

في ظل هذا الوضع المتأزم على مختلف النواحي والأصعدة وما آلت إليه الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية بفعل الآلة الاستعمارية كان الكاتب الجزائري أكثر الفئات الاجتماعية تأثرا بها فساهمت في تشكيل شخصيته، فوعى وضعه الحقيقي وفهم نوايا الاستعمار وانعكس كل ذلك على إبداعه ليولد من رحم هذه الأزمة بواكير الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية.

نشأة الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

يرجع المؤرخ والباحث جان ديجو أول نص، لدى كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى سنة 1981 وهو عبارة عن قصة بعنوان إنتقام الشيخ، وبين السنوات العشرين من القرن العشرين التي ظهرت فيها عدة نصوص أدبية، حث إن الجزائريين كتبوا باللغة الفرنسية ولا سيما في مجال الرواية فإن جان ديجو المسرح الأول للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يتخذ سنة 1920 كإنطلاقة حقيقية لهذا الأدب الناشئ ويعد المؤلف القايد بن الشريف بداية تلك الإنطلاقة وينظر إليه على أنه أول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية، إذا سلمنا بهذا

[1] فرحات عباس، دليل الاستعمار، منشورات ANEP المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للرغاية، الجزائر، 2006، ص30.

التاريخ على أنه بداية الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وهو مالا ينكره بعض الباحثين المعروقين ولكنهم يتجاهلونه في الوقت ذاته كما يتجاهلون كل ذلك الأدب الذي كتبه الجزائريين بالفرنسية، حيث أن هناك ملاحظة لا يمكن تجاوزها وهي طول المدة التي تفصل بين بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وبداية ظهور هذا الأدب وفي الحقيقة أن هناك عوامل وأسباب عددية أخرت ظهور هذا الأدب أبرزها عاملان رئيسيان الأول سياسة العدوان التي انتهجها الاستعمار طوال احتلاله للجزائر، الشيء الذي جعل العلاقة بين المحتلين وأهل البلد الشرعيين علاقة حرب وتوتر دائم منعت أي احتكاك إيجابي بين الطرفين ووقفت حائلا دون أي تعاون مثمر سواء على الصعيد السياسي أو الفكري وذلك لانعدام الثقة بينهما[1].

لا يلتقيان كان لكل مجتمع منهما حياته الخاصة التي يشاركه فيها الطرف الآخر فالمستوطنين الأوروبيين مفاهيمهم وملاهيهم ومسارحهم وللجزائريين مفاهيمهم وجمعياتهم الثقافية ونظرا لهذه الوضعية العدالية المتحكمة والتي ظلت العلاقة بين الطرفين فقد كان أي تبادل ثقافي أو تلاقح فكري أو تأثير حضاري بينهما يكاد يكون متعلم، لقد كان المحتل ينظر في الغالب إلى ثقافة المحلية نظرة احتقار أما الجزائريون يتوجسون خفية من ثقافة المحتل ويقابلون بحذر كل ما يصدر عنه ولكن هذا الوضع عرف عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى بعض الانفراج ووقع ما يشبه نوعا ما من التقارب الحذر بين الطرفين، حيث حاول كل طرف الانفتاح على الآخر وساعة على الانفراج الدولي وإعلان مبادئ التي تحدثت لأول مرة عن حق الشعوب في تحقيق مصيرها.

كما ساعدت على تجسيد هذا الانفراج إجراءات سياسية وإدارية اتخذتها الحكومة الفرنسية وخفت من التوتر وهيأت الأجواء المناسبة وأصبح يعرف بقوانين 04 فيفري 1919، التي أبلغت السلطات الاستعمارية بموجبها معظم مواد قانون الاندجينا العنصرية الذي كان يحكم

---

[1] احمد منصور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط1، 2007، ص 130.

الجزائريين بقبضة من الحديد، حيث أصبح في إمكان الجزائريين لأول مرة في التاريخ الاحتلال الفرنسي حق إنشاء الأحزاب السياسية وإصدار الصحف.

واعتبر الأدباء والروائيين ككتاب فرنسيين قبل سنة 1962 وذلك لأن الوضع القانوني للبلاد يلحقها بفرنسا ويعتبرها جزء منها أي إنتاج أدبي فيها ينطوي تحت مظلة الدب الفرنسي ولكن المعمرين ممن كانت لهم إنتاجات أدبية حاولوا أن يستقلوا بإنتاجياتهم ويميزونها عن غيرها بإعطائها صفة الانتماء الجزائري[1].

وقد عالج الكتاب من فئة المعمرين في نصوصهم مواضيع عدة منها العادات والتقاليد العربية والإسلامية لدى سكان الأهالي، واقع المعمرين وانشغالاتهم

مسألة الزواج بين الطوائف(المسلمين، المسيحيين) وفرص التعايش بينهم ولم تخل بنياتهم اللغوية من المفردات مستمدة من اللهجة المحلية وحاول بعض الباحثين وضع الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية في خانة واحدة مع الأدب الفرنسي المكتوب في الجزائر فذكر مها رواية الطاعون La paste والغريب L'étrager لألبير كاموانى التي جرت أحداثها في مدينة وهران، حيث كشفت كتابتهم عن رؤى عالمية وتوجيهات إنسانية ولم تهتم كثيرا بكشف الواقع المرير الذي عاشت الجزائر في تلك الفترة 1995 حتى وإن ضمت كتابا ولدوا في الجزائر لكنهم كانوا موالين لسياسة فرنسا وكانت كتاباتهم إمتداد لكتابات الفرنسيين داخل فرنسا، ما يجعلها في حالة تنافر مع الكتابات التي كتبتها الجزائر باللغة الفرنسية فالجزائر كانت بالنسبة لهم الأم وليس الوطن البديل.

كما عبر عنها الكتاب الفرنسيين الذين عاشوا في الجزائر والذين كانوا متشبعين بالثقافة الفرنسية والفكر الغربي ومنتمين إلى فئة مغايرة لم تفهم قط رؤية الشعب الجزائري ولم تشاركه شعوره حيال عدة قضايا جوهرية ولم تعرف معنى الإزدواجية اللغوية، شكلت اللغة الفرنسية

[1] احمد منصور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، 131

العنصر الأساسي المشترك بين كتابات الروائيين الجزائريين والروائيين من المستوطنين وحتى الفرنسيين الذين زاروا الجزائر أو كتبوا عنها، ولقد اعتبروا هؤلاء عدا الكتاب والأصل والمنشأ. الجزائري أنهم جزائريون.

يرجع مالك حداد الفرق بين الكتاب والمستوطن والأهالي رغم أنهم يكتبون بلغة واحدة هو الحنين إلى اللغة الأم التي منعت من تعلمها فأصبحوا بذلك أيتام بالإضافة إلى انتماء الدين الإسلامي والثقافة الجزائرية بكل مقوماتها

حيث ذهب بعض الكتاب إلى القول بأن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أدب فرضته المرحلة وهو أدب انتقائي سيزول بمجرد زوال بواعثه وجاءت هذه الآراء مع اقتراب تاريخ استقلال الجزائري، ووصفوا بأنهم كتاب جزائريون منفيون في اللغة الفرنسية وأن نصوصهم هي تماما مثل السينما الصامتة التي اختلفت بمجرد ظهور السينما الناطقة ومثال ذلك مالك حداد الذي انقطع عن التأليف باللغة الفرنسية إلا نادرا بعد الاستقلال ودعا الكتاب الآخرين إلى تبني موقفه وفسح المجال للكتاب باللغة العربية ومما أثار الانتباه رفضه تسمية الأدب الجزائري باللغة الفرنسية واستعماله عوض عن ذلك الأدب الفرنسي والتعبير الجزائري فهو فرنسي بالنظر إلى وسيلة التعبير ولكنه جزائري، قلبا وروحا، حتى محمد ديب الذي لم يرشد استخدام اللغة الفرنسية ويعود ليقول أنه لن يشعر أبدا بانتماء المجتمع ما بمجرد الكتابة بلغته.

اما مولود معمري وكاتب ياسين فلا يرون في توظيف اللغة الفرنسية غير وسيلة لتوصيل أفكارهم، ولا يشعرهم ذلك بأي عقدة نقص بل هو إثراء للأدب الجزائري وكانت نسبة الأمية في الجزائر أثناء الاستقلال تناهز 85% من عامة الشعب فقد تكلم وكتب بها عند قليل من الجزائريين الذين ينتمون للطبقة المثقفة واما العربية فلم تكن أحسن حالا نتيجة سياسة محاربة اللغة العربية التي انتهجها الاستعمار، وحتى خيار الانتقال من الكتابة باللغة الفرنسية إلى

اللغة الفرنسية لم يكن متاحا نظرا الجهل الكتاب بأدبيات وجماليات هذه اللغة باستثناء قلة قليلة وضعف عدد القراء المحتملين، فاعتزل مالك حداد الكتاب بالحرف الفرنسي.

وتوجه ديب إلى عوامل الرمزية والتجريدية بعيدا عن أدب النضال الذي كتب وسلم كاتب ياسبن منحنى مغاير باختيار التأليف المسرحي باللهجة الجزائرية التي اعتبرها أقرب وسيلة تخاطب عقول أعمال الفلاحين والطبقات الكادحة، اما مولود معمري فحافظ نوعا ما على وتيرة منتظمة وإن كانت متباعدة لإنتاج نصوص روائية ومسرحية ولكن مجهوده تركز في اللغة الامازيغية وإحياء تراثها وتقوية مكانتها، أما أسيا جبار فقد حاولت أن توازن بين استعمال اللغة الفرنسية وتضيف التراث الشعبي الجزائري في نصوصها الروائية واتجهت إلى تنويع انتاجاتها فولجت الشعر والمسرح وحتى السينما[1].

كما أن الأدب الجزائري شأنه شأن الآداب العالمية والعربية يتأثر بما حوله من عوامل تارخية واجتماعية وثقافية وفكرية وسياسية، ويأتي في مقدمتها الاستعمار الفرنسي الذي اتخذ من سياسة التجنيد وسيلة لطمس معالم الهوية الجزائرية الإسلامية العربية فقد جند كافة الوسائل وتوسل مختلف الطرق الكفيلة بتحقيق ذلك من بينها:

- منع تعليم اللغة العربية ومحاربة المدارس القرآنية والزوايا التي كانت تقوم بمهمة تعليم الجزائريين لغتهم ودينهم.
- تشجيع الحملات التبشيرية

إنشاء المدارس الفرنسية المختلطة في المدن هذه الأخيرة ضمت الغالية العظمى من الفرنسيين والأقلية من الجزائريين وكان الهدف من ذلك تكريس اللغة الفرنسية باعتبارها لغة حضارة وثقافة وكذا تكوين جيل جديد يتطلع إلى القيم المثالية.

2-تطور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية:

[1] احمد منصور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ص 134- 135

أ- الأدب الكولونيالي:

انبثق عن المدارس المختلطة في الجزائر نخبة مثقفة من الجزائريين الذين اتسعت نظرتهم للعالم وانجلت بصائرهم كما يحدث لبلادهم، فاتخذوا من اللغة الفرنسية التي أرادوا أن تكون بديلا عن لغتهم الأم وأن تعزز إنتمائهم لفرنسا، وسيلة للتحدث بلسان الشعب والدفاع عن حقوقه وتحصيل حريته من خلال كتابات قصصية وروائية تحاكي الواقع وتفضح زيف الإدارة الفرنسية في الجزائر وما ترتكبه في حق الشعب، وقد تمظهرت هذه الكتابات الأدبية من خلال عناوين كثيرة، كان أولها قصة قصيرة بعنوان" انتقام الشيخ" كتبها محمد بن رحال ونشرتها المجلة التونسية الأدبية والفنية في العدد الثالث 26—09 1991/10/03 اما أول سلسلة من القصص فقد كتبها أحمد بوري تحت عنوان" مسلمون ومسيحيون" ونشرت في صحيفة الحق سنة 1912م.[1]

الرواية الاندماجية

إن الكتاب الجزائريين الذين استعانوا بالحرف الفرنسي كانوا من الطبقة المثقفة وشغلوا وظائف هامة واعتبروا أنهم تخرجوا من المدرسة الفرنسية، فقد ساندوا مبدأ الاندماج ونادوا بالمساواة بين الجزائريين والفرنسيين.

يعتبر مؤرخ الأدب الجزائري باللغة الفرنسية جان ديجو سنة 1920 البداية الفعلية للأدب الجزائري باللغة الفرنسية وذلك تزامنا مع صدور أول رواية بعنوان" أحمد مصطفى القومي" لصاحبها القايد بن الشريف[2]، وتلتها رواية أخرى منها:

---

[1] حبور أم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، دراسة سوسيون فنية، ترامیم للنشر المطبعة 01، 2013، ص 36-37

[2] احمد منصور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، دار التنوير، ط1، 2013، ص 74

زهرة زوجة المنجمي" التي كتبها عبد القادر حاج حمو سنة 1925 ، ولعل السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هو: لماذا احتاج الأدب كل هذا الوقت للظهور والتموضع على الساحة الأدبية؟ أما الجواب هذا السؤال فيكون بالرجوع إلى السنة التي سبقت صدور أول رواية وهو تاريخ انتهاء العرب العالمية الأولى وإعلان مبادئ ولسون التي أعقبها إنفراج نسبي في تعاملات الإدارة الفرنسية مع الجزائريين وذلك تطبيقا لقوانين 04 فيفري 1919 التي ألغت مواد قانون الأنديجانا العنصري، وقد اعتبرت الإدارة الفرنسية ذلك مكسب مستحق للجزائريين الذين حاربوا إلى جانب الفرنسيين في ساحات المعارك إبان الحرب العالمية الأولى، وكذا الذين ساهموا في تشغيل المصانع الفرنسية خلال فترة الحرب عن كل هذا حصول الجزائريين ولأول مرة منذ تاريخ الاحتلال على حق إنشاء الأحزاب السياسية والمشاركة في الانتخابات وإصدار الصحف مكاسب اختارت فرنسا الإستعمارية توقيت منحها للجزائريين بعناية وذلك استعدادا لانتقالها بالذكرى المئوية، ذكرى أرادت من خلالها أن ترسم صورة الجزائر الفرنسية المتحضرة وتوهم الشعب أن يجني ثمار احتلال فرنسا لأراضيه، فكانت مكاسب رمزية والغرض منها تبرير الاغتصاب المتواصل لكل من هو جزائري ولكن كان انتعاش الانتاج الأدبي من أبرز نتائجها.

أهم الأعمال التي أنجزت في هذه الفترة (1920- 1930) بالإضافة إلى رواية القايد بن شريف وعبد القادر حمو المذكورين سابق: نذكر رواية" مأمون بدايات مثل أعلى" لشكري خوجة" الصادرة سنة 1928 وراوية العلج أسبرير بروسيا" سنة 1929 للمؤلف نفه.

ينزع الباحثون والنقاد إلى إضفاء صفة الخضوع على كتاب هذه الحقبة أي أنهم كانوا ضحية للإدارة الفرنسية ويبدوا ظاهرا من خلال كتاباتهم أنهم تشبعوا بالثقافة الفرنسية بل يشعرون بالامتنان اتجاه فرنسا ويكتبون لجزائر فرنسية تنعم بالسلام ومثالنا في ذلك رواية" بولنوار الجزائري الشاب لصاحبها رابح زناتي الذي كتب أن: من حظ كل الجزائريين أن تكون الدولة الأكبر والأكثر حضارة وهي المعلمة فمهما تمكن الجزائري من أن يخطو

خطوات عملاقة[1]، ويحذو حذوه أيضا شكري خوجة عندما يتساءل البطل المأمون قائلا:" تملك فرنسا حقوقا علي وأنا أشعر برغبة غامضة أن أقدم شيئا يفيدها.. وأنا العربي لي هدف وهذا رائع أن أجده، هي فكرة الوطن التي بدأت تتفتح بداخلي"[2].

رغم أن هذه الروايات لن تتصد للواقع الاستعماري المرير الذي عايشه الشعب الجزائري إلا أنها تمكنت من تسليط الضوء على بعض الأفكار السلبية التي انتشرت في المجتمع نتيجة الاحتكاك بالثقافة الداخلية منها الإدمان على الخمر ولعب القمار الظاهرتان اللتان عالجتهما تماما روايتي: زهراء امرأة المنجمي ورواية مأمون بدايات مثل أعلى"

أما الروايات التي صدرت لاحقا فقد اهتمت بتصوير انتماء الجزائريين الذي شتته الاستعماري بين قيمة الوطنية (العروبة والإسلام والأمازيغية) من جهة والقيم الفرنسية الداخلية التي فرضتها من جهة أخرى ومن بينها نذكر رواية " مريم بين النخيل 1934 لمحمد ولد الشيخ بولنوار الجزائري الشاب لرابح زناتي وكذا رواية ليلى فتاة (جميلة) جزائرية لجميلة دباش.

كانت هذه الروايات تدور في فلك البحث عن الذات وشأن جل الشخصيات بين كون المرء جزائريا وما يوازيه من انتماء وكونه تابعا للإدارة الفرنسية وما ينجز عنه من التزامات تظهر البحث عن الذات في الرواية من خلال ما دعت إليه القوى السياسية التي واكبت تلك الفترة ونذكر منها شخصية فرحات عباس الرجل السياسي الذي شل التيار الاندماجي ونادى بالمساواة في الحقوق والواجبات بين الجزائريين والفرنسيين الذين لطالما اصطدموا بالهوة العميقة التي فصلت بين الثقافتين، والنظرة المتبادلة التي لم تتغير فقد نظر الجزائريين إلى الفرنسيين بعين الغريب والدخيل عليهم ونظر الفرنسيين إلى الجزائريين باحتقار ودونية ونذكر من الأدباء الذين ساندوا فكرة الاندماج والتعايش بين الأهالي والأوروبيين : مولود فرعون من

---

[1] جدبور أم الخير، مرجع سابق، ص 37

[2] المرجع نفسه، ص 38

خلال روايته ابن الفقير التي كانت أقرب إلى السيرة الذاتية من خلال تصوير واقع الإنسان في البلاد القبائل وكيف يمكن لحياته أن تتغير بالاحتكاك بالأوروبيين أما الهجرة إلى فرنسا أو الاختلاط بهم في المعاهد ودور التعليم.

كانت هذه السمات الغالية على الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية منذ البدايات والتي ما لبث أن اعتراها التغيير تماشيا مع ما فرضته الأحداث العالمية كانتهاء الحرب العالمية الثالثة ومجازر 08ماي 1945 والتي تمكنت من تغير قطاعات الرواية وتوحيد دفنها نحو كتابة ذات شكل مغاير.

- **الأدب الكولوتيالي التوري:**

تأثرت الجزائر بما تمخضت عنه مجريات الحرب العالمية الثانية باعتبارها مستعمرة لإحدى الدول التي دارت بها الحرب على جزء من أراضيها وشاركت فيها بقواتها حتى خارج الحدود أراضيها وقياسا على كون الأدب مرآة الواقع ونبض الشارع، فقد ازدهر الإنتاج الروائي بعدما وضعت الحرب أوزارها، ويعزو مولود فرعون ذلك التطور الحسن الفني والشعور بالحاجة إلى الإنعتاق وإمكانية تحقيق ذلك فيقول " خلال الحرب العالمية الثانية حدثت أشياء كثيرة شاركنا فيها نحن الجزائريين فشعرنا على إثرها بتنصيب وانتهاج خروجنا من المأزق ممكن، فخرجنا ثم ذلك المأزق بالكتابة قبل أن نخرج منه في الواقع"[1].

فقد شهدت سنة 1948 صدور روايتين الاولى بعنوان: إدريس لعلي الحمامي والثانية بعنوان لبيك لمالك بن نبي وبالرجوع إلى الخلفية الفكرية لكل منهما نجد أن الحمامي كان أحد الكتاب الذين عرفوا بنضالهم الطويل ضد الاستعمار اما مالك بن نبي فهو مفكر إسلامي أخذ عاتقه مهمة الإصلاح والإرشاد ونقد الآفات التي انتشرت داخل المجتمع الجزائري وتقديم

[1] عايدة أديب باهية، الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 25

الحلول لها ولعل أبرز ما دعا إليه بن نبي العودة إلى القيم الاخلاقية الأصيلة والتشبث بالعقيدة الإسلامية السمحاء من أجل التحرر.

شكلت هذه الرواية بنية الأساس لاتجاه جديد شق طريقه داخل الأدب الجزائري بلسان الفرنسي، فقد لوحظت طفرة هامة في نوعية المضامين التي حملتها الروايات، هذه الأخيرة أخذت على عاتقها تصوير واقع البؤس والحرمان الذي يعيشه الجزائري وتسليط الضوء على الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي ولعل من بين أهم الروايات التي شكلت منعطفا حاسما في تاريخ الرواية الجزائرية التي تجاوزت الصورة النمطية المقدمة سابقا عن العلاقة المطالية بين الإدارة الاستعمارية والأهالي لتغوص في واقع الشعب الذي كابد القهر لسنوات طويلة هي رواية " الدار الكبيرة" أمحمد ديب سنة 1952 التي تصف الفقر والجوع السائد نتيجة الاحتلال وتكشف الستار عن فئة جديدة تسمى بالمناضلين الذين يعيشون بين أفراد الطبقات الدنيا من الشعب وينتظرون ضد الاستعمار في الخفاء، كما اكتشف الروايات التي توالت بعدها لا سيما روايتي" الحريق" الصادرة سنة 1954 و "النول" سنة 1957 اللتان تعتبران امتداد لرواية الدار الكبيرة عن معاناة فئات من الشعب مثل العمال والحرفيين داخل المدن والفلاحين المستعبدون من طرف المعمرين من الأرياف، فمنهما اختلفت المهنة ولكن الوضع المزري طال الجميع دون استثناء.

أدهش التوجه الروائي الجديد الذي قاده" محمد ديب" الاوساط الفرنسية التي اعتبرت أن التلميذ قد تعلم الدرس وهو الآن ينتفض ضد معالمه فقد استعمل محمد ديب لغة فرنسا الاستعمارية التي أرادت من خلال تلقينها للجزائريين أن تكون بديلا لهم عن لغتهم الأم، سلاحا يكشف زيف إدعائاتهم أمام العالم أجمع، ويعكس حقيقة الظلم والعدوان الذي يتعرض له الشعب الجزائري وبهذا سمي التيار بأدب المقاومة[1].

[1] عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغاربية، 1986، ص 99

وقد لقي استنكارا شديد لدى اليمينيين بينما احتفل اليساريون واعتبروه تأصيلا واضحا للغة الفرنسية حتى أضحت صوت الشعب ومنقذه، ويبدو ذلك جليا من خلال قيام دور النشر الفرنسية بإصدار هذه الروايات وتبنيها أدبيا وثقافيا حتى صارت أكثر أدب مقروؤ عرفته تلك الفترة بين المثقفين الفرنسيين أنفسهم، وقد سارت على دربها العديد من الروايات نذكر منها رواية " نوم العادل" لمولد معمري الصادرة لسنة 1955 الذي ينقلنا لنعايش حالة البؤس والحرمان التي عاشتها القرى والمداشر القبائلية ورواية " نجمة" الصادرة لسنة 1956 التي يتناول فيها كاتب ياسين مظاهر الاستغلال والظلم الذي مارسه المعمرون على أبناء الأرض ويصور فيها مجازر 08 ماي 1945 التي قمع فيها المستعمر بوحشية المتظاهرين من اجل الحرية والعدالة واعتبرت نوعا من الكتب التي تسبق الثورات وتخطط لها[1].

رسمت هذه الروايات الصورة التي آلت إليها الجزائر تلك الفترة ولتوضح الرؤية حول الأحداث التي ساهمت في اندلاع الثورة التي فسحت المجال النضال العسكري وأعطت مفهوما جديدا للدفاع عن الحرية المغتصبة، والذي كان على ساحات المعارك التي دارت رحالها في كل مناطق الجزائر، ولم يتباهون الكتاب عن مواكبة الحدث من خلال تصوير وقائع الثورة المسلحة وتقديم نصائح من صور المقاومة الشعبية كان أبطالها من كل فئات المجتمع الجزائري وكذا تخليد تضحيات الشعب وكشف أبشع التعذيب والاعتقال والقتل والتهجير التي تعرض لها ومثالنا في ذلك رواية" الانطباع الأخير (1958) التلميذ والدرس (19609 ورصيف الأزهار لا يجيب (1961) ورواية " ضيف إفريقي محمد ديب (1959)

إن الحديث عن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية وعن الرواية بصفة خاصة كونها الجنس الأدبي الذي اتخذه الجزائريون أداة للتعبير عن آرائهم ومشاعرهم يضفي إلى الإشارة إلى الإشكالية التي عنى منها هذا الأدب والمتعلقة بهويته وأصالته.

---

[1] أمين الزاوي ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، تطور علاقة لإنتاج الروائي بالإيديولوجية 1830 إلى 1982. ماجستير 1963 ، ص 320.

فاللغة التي كتب بها هذا الأدب هي التي جعلت البعض يعتقد أنه أدب فرنسي وهو الأمر الذي أوقع الخلط بين الروائيين الجزائريين ونظرائهم الأوروبيين ممن ولدوا في الجزائر وجعلوها موضوعا لإبداعاتهم من أمثال ألبير كاموا وجون سيناك وغيرهم حتى أن بعضهم تناولوا مواضيع جزائرية أبدوا من خلالها اهتماما أصيلا بمشاكل الجزائريين[1]، فالفارق بين الفئتين ظل واضحا فاستعمال لغة مشتركة وهي الفرنسية لم يوحد وحدة وتماثل بين الكتاب الجزائريين والفرنسيين ولا يمكن هذا الاختلاف في الأساس أو الخلفية التعليمية التي تعتبر متماثلة غالبا بالنسبة لكل الفئتين.

ب- رواية ما بعد الاستقلال(ما بعد الكولوتيالية)

لم يكن الاستقلال مرادفا لنهاية الأدب النضالي ،فالأدب يتلون حسب حالات السلم والحرب ولكن الثورة التحريرية قد ألقت بطلا لها على رواية التي تلت استقلال الجزائر بفرنسا، فلم تبرح تعالج قضايا الثورة وتصور مآسيها وتؤرخ لفترة زمنية عصيبة غيرت ملامح الشعب إلى الأبد وقد وصف هذا الاتجاه بكونه منحازا إلى الثورة ومتأثرا بها ونذكر أمثلة عن روايات فترة الستينات رواية: أطفال العالم الجديد (1962) لأسيا جبار ورواية الأفيون والعصا(1965) لمولود معمري ورواية أصابع الجهاد (1967) لحسين بوزاهر ورواية أسلاك الحياة الشائكة لصالح فلاح، (1962) وقد ساهمت هذه الروايات في تعميق الإحساس بالوعي الوطني والإشادة بأمجاد الثورة وتضحيات الشعب.

ولعل أهم ما ميز فترة الستينات غياب مالك حداد عن ساحة الأدبية غياب أراد به أن ينادي بنفسه عن تيار الكتابة باللغة الفرنسية إلى استعان بها لمحاربة المستعمر ولم يعد هذا الشيء قائما بعد أن نالت الجزائر استقلالها باستثناء بعض الأشعار المتفرقة[2].

---

[1] عايدة أمينة أديب، تطور الأدب القصصي في الجزائر (1925-1967) تر: محمد صقر ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 1962، ص 53.

[2] دواوين مالك حماد الشعرية الشقاء في خطر، 1965-1961.

وكان اختيار الكتاب الجزائريين العيش خارج الجزائر بعد سنة 1965 التي شهدت الانقلاب العسكري الذي قاده هواري بومدين على نظام الرئيس بن بلة بحجة عدم توفر المناخ الديمقراطي للتعبير بحرية عن آرائهم وقد عرف أدب تلك الفترة المنشور في فرنسا أدب النزعة الاحتجاجية الاجتماعية والسياسية حيث ندعوا بتحول الحكم على يد العسكر، هن اهداف الثورة ومسارها النضالي وانتقدوا الأوضاع الاجتماعية السيئة التي عاشها الشعب ونذكر من هذه الروايات" رقصة الملك" (1968)" و" إله أرض البربر" (1970) بمحمد ديب ورواتي التطليق (1969) وضربة شمس (1972) لرشيد بوحجرة وقد سعى هذا الأدب إلى توجيه الجماهير إلى واقع أدبي أفضل لمسايرة الثورة الاشتراكية من اجل خلاص الأمة من الجهل والمرض والتخلف الذي ورثه عن الحقبة الاستعمارية.

استطاع الكثير من الروائيين إنتاج نصوص رواية تحمل تجربة عميقة بالفاجعة التي ألمت بالجزائر وعالجت موضوعات غاية في الأهمية والتعقيد مثل الموت والحياة والانتماء والوطنية والدين وقد اختلف معالجة الكتاب لهذه القضايا كل حسب قناعته وأزخت لإنسان جديد يختلف عن الشاعر المناضل خلال الثورة التحريرية أو العامل البسيط المقهور لدى المستعمر أو الفلاح الجزائري أيام الثورة الزراعية أو حتى المناضل الحربي أثناء الحراك الاشتراكي، إنه إنسان جديد يقف في مواجهة تناقضاته وينمو وعيه يوما بعد يوم ليجيب عن الأسئلة المرتبطة بالوجود والحياة قياسا بحجم المحنة التي يعيشها.

إن الرواية قد تمتد عبر الزمن لنستوحي قصصها ونحول بكل علو وتسامي التجربة الواقعية الى تجربة إبداعية تمتزج بالخيال والفنية لكن ما حدث في الجزائر العشرية السوداء لم يكن ليغري الكتاب بالكتابة بقدر ما كان يجبرهم عليها لأنها أصبحت الملاذ الآمن الوحيد لهم ليعبروا عن آلامهم وآلام مجتمعهم محاولين البحث عن الحقيقة وفهم الواقع وفق رؤى متعددة وصلت في بعض الأحيان إلى حد التناقض.

ويحلينا تمركز موضوعات الرواية التسعية حوله هو المجتمع والأموال التي تنهكه إلى وحدة التجربة العامة وهي تجربة العنف الشاملة.

وقد استعمر هذا التوجه طوال فتة نهاية الستينات والسبعينات فقد حمل الكتاب على عاتقهم مهمة رصد مخلفات الاستعمار التي انعكست سلبا على المجتمع ونقد الأوضاع الاجتماعية القاسية التي يتخبط فيها الفرد الجزائري وقد طفت إلى السطح موضوعات أخرى تجسدت من خلالها شخصيات روائية تعاني أزمة الهوية والانتماء مثل اشكالية الهوية الوطنية الجزائرية والثقافية الأصلية المغيبة من خلال روايات " ذاكرة الغائب" (1974) المنفى والحيرة (1976) لنبيل فارس أو معالجة قضية الهوية الأمازيغية من خلال رواية الطاهر جاووت (الباحثون عن العظام)[1] (1984)، أو رواية العبور (1952) لمولود معمري.

ولا تغفل الروايات التي ظلت على نسقها الأول والتي صدرت في فترة السبعينات والثمانينات والتي لازمت موضوعات الثورة والتحرر وأخرى أخذت على عاتقها تسليط الضوء على الأوضاع السياسية والاجتماعية بغرض تحسين الواقع المعيشي ورصد تهن للشارع بالإضافة إلى موضوع السيرة الذاتية الذي ظل حاضرا على الدوام في الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

ج- رواية الأزمة:

أخذت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية والصادر أواخر فترة السبعينات والثمانيات من القرن الماضي على عاتقها مسؤولية محاربة الظواهر التي شوهت المجتمع آن ذاك وتفشت فيه مثل الانتهازية والرشوة والجهوية وغيرها، وميزتها مسحة إيديولوجية دافع قفيها كل كاتب عن آرائه ومبادئه وتوجيهاته أما في التسعينات فقد برز الخطاب السياسي في أغلب الكتابات

[1] كاتب هدى إحدى الروايات التي اتسمت بالرمزية والغموض ولكن بلهجة أقل حدة لمعالجة أزمة الهوية الوطنية

الروائية وأضحت الرواية آنذاك ساحة تعارك فيها مختلف التيارات وبرزت تأثيراتها على فئات المجتمع وما ألت إليه الأوضاع في الجزائر ففي الخامس من أكتوبر سنة 1988 خرج الجزائريون في مظاهرات عارمة بسبب ظروف العيش المتدنية والبطالة واللا مساواة التي عمقتها سياسة الحزب الواحد وتسببت فيها بشكل كبير الأزمة المالية العالمية التي تضررت منها اقتصاديات دول العالم في تلك الفارة وطالب المتظاهرون بتحسين الأوضاع المعيشية ودفع عجلة التنمية ورفعوا شعارات تطالب بالتغيير وهو الأمر الذي يتحقق مع صدور دستور 23 ماي 1988، الذي فتح المجال للتعددية الحزبية السياسية بعدما اهتزت المشروعة التاريخية للحزب الحاكم نتيجة اتساع الهوة بين السلطة والمجتمع وعجزها عن تلبية متطلباته فنظمت على اثر ذلك انتخابات المجالس الشعبية التي اكتسحتها الأحزاب المحسوبة على التيار الإسلامي وواصلت هذه الأخيرة صعودها حتى تحقيقها نسبة كبيرة في الانتخابات التشريعية.

انتخابات حصلت فيها تلك الأحزاب على أغلبية أعقبتها واقعة إلغاء الانتخابات وتصاعد المد الإسلامي الذي سعى إلى استعادة مكانته المسلوبة مدفوعا بالرغبة في الانتقام من السلطات التي كبحت زحفه نحو السلطة.

ساد جو من العصيان وعمت الاضطرابات البلاد في صيف 1991 فأعلنت على إثرها حالة طوارئ التي أخضعت البلاد للحكم العسكري وسقطت الحكومة الثانية التي تأسست سنة 1968 لينتقل بعدها الرئيس في شهر جانفي 1992 ويغتال من ناب عنه وهو رئيس المجلس الأعلى للدولة" محمد بوضياف" في جوان 1992 أحداث حولت العنف السياسي إلى عنف هوي استمر عشرية كاملة.

ولعل أهم الأمثلة التي واكبت الأحداث وصورت الوقائع نجد روايات رشيد ميموتي" شرف القبيلة" [1] (1989) رواية حزام الغولة (1990) ورواية اللعنة (1993) واستلائهم على قسم الاستعجالات في مستشفى مصطفى باشا بعد موجهاتهم مع قوات الامن ما اكتسب هذه الروايات وأخرى جاء بعدها اسم رواية الأزمة المحنة أو حتى الأدب الاستعجالي بشكل عام.

إن السبب الرئيسي وراء تسمية الروايات التي صورت العراك السياسي والاحتلال الهوي الذي تلاه لاحقا في فترة التسعينات باسم الأدب الاستعجالي هو أن العديد من الكتاب في نوع من التسرع والتبسيط واتسقوا وراء الأحداث المهولة والمتسرعة فجاءت أعمالهم أقرب إلى التصوير الفوتوغرافي والشخصيات الصحفية منها إلى الكتابة الفنية الراقية وسميت برواية الأزمة لأنها عكست الواقع التأزم وعايش الأزمة التي مرت بها الجزائر طوال عشرية كاملة كأنها شخصت منابع الداء ووصفت أهوال المحنة التي عصفت بالشعب وزعزعت أمن الدولة واستقرارها مكان هذا الأدب صوت الشارع الذي يفرق كتب للمثقف لينقل معاناة من لا تسمع أصواتهم فأصبح بذلك الكاتب مستهدفا من طرف الجماعات المسلحة التي أبت إلا أن تغتال أجساد البشر وفن انعكاس ظلهم داخل الروايات

3-علاقة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بالمجتمع:

إن الأدب العربي يزخر بكتاب روائيين كثيرا كتبوا في الرواية بلغات مختلفة سواء الانجليزية أو الفرنسية حيث أن بالبداية الأولى للرواية في الجزائر كانت باللغة الفرنسية وهي نقطة انطلاق لهذا الفن فيها، حيث توجد مجموعة من الأدباء من بينهم مولود فرعون،، كاتب ياسين، محمد ديب، وغيرهم الذين برعوا في الكتابة الروائية باللغة الفرنسية في الجزائر.

فقد كان للأوضاع الاجتماعية والسياسية التي عاشها الشعب الجزائري آنذاك أثر كبير على الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ممثلين بذلك صوت الشعب ونقد الواقع

[1] صورت هذه الروايات سلوكيات مسؤول وإطارات الدولة، التي اتسمت تصرفاتهم بالتعاون الذي شجع على إثار الانتهازية والرشوة والجهوية

المزري والمعاناة التي يعيشها الفرد الجزائري، فجعلت هذه الأوضاع مادة دسمة للروائيين من اجل الإبداع والتعبير عن آرائهم وقول كلماتهم فكانت أعمالهم مساندة للشعب وبمثابة سلاح من أسلحة الثورة وفضح المستعمر ونقل مأساة الشعب والحياة المزرية التي يعيشها.

إن الرواية باعتبارها جسدا أدبيا في الأكثر استيعابا للواقع وقضايا المجتمع والوسيلة الأمثل للتعبير عنها فالكتابة الرواية هي انعكاس للواقع فمنذ ظهورها كان هدفها الأول والأخير هو تقدير الواقع بكل تحولاته وجوانبه المختلفة إذ تعتبر الرواية النوع المسيطر أو الغالب عن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بحيث ارتبط ظهور الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية بتواجد الاستعمار الذي كان له الأثر البالغ خاصة على المجتمع الجزائري فجاءت الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي للرد على الاستعمار وجسدت مظهر من مظاهر المقاومة والدفاع فالأدباء الجزائريون ذوي اللسان الفرنسي يجعلون في أعماقهم هموم المجتمع ما جعلهم يعبرون في أغلب الأحيان عن الحقيقة الاستطانية وتختلف رؤيتهم تماما عن الكتاب الفرنسيين فقد اتخذ الجزائريون الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية كأداة للتعبير عن آرائهم ومشاعرهم فهي تعتبر كتابات مقتبسة من الهوية الجزائرية متحمل تقاليد الشعب الجزائري وتتناول حياته اليومية وتعبر عن آلامه وأماله وما يطمح إليه[1].

لقد كان الاستعمار الفرنسي على الجزائر والذي امتد من (1830-1962) أثرا بالغا على المجتمع الجزائري بنواحيه المختلفة ومختلف المظاهر الاجتماعية التي عانت منها الجزائر لا فترة الاستعمار.

فالأدب الجزائري على وجه العموم والرواية الجزائرية على وجه الخصوص احتضنت تصوير الواقع الاجتماعي المرير الذي صبغ معاناة عديدة تمثلت في الظلم والفقر والجوع والبؤس وبهذا فقد كان الروائيين الجزائريين شهودا على أوضاع مجتمعهم ومتفاعلين مع ما يجري حولهم.

---

[1] نور سلمان الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 112، المجلة نفسها، ص 72

فقيل الحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية يجد الباحث نفسه مضطرا للتعرض لأديب الجزائري الذي اتخذ اللغة الفرنسية أدة للتعبير عن مجتمعه فلقد ظهر العديد من الروائيين ليعبوا عن واقعهم متخذين اللغة الفرنسية أداة لتعبير عن آمالهم وأفراحهم، وأدبهم كتب بلغة أجنبية لكن مضمونه وأصله بروح جزائرية، فهم لم ينسلخوا عن مجتمعهم فعندما أتيحت الفرصة للروائيين الجزائريين ليعبروا عن أنفسهم انصب اهتمامهم الأول على المشاكل الاجتماعية التي تواجه شعبهم وركزوا بشكل خاص على مشاكل الفقر[1]، باعتباره مرض اجتماعي خطير منه تأتي كافة الشرور والمشاكل ولما كانت الأغلبية الساحقة من الجزائريين فقد عانوا مرارة الجوع والحرمان اليومي الذي أدى بالكثيرين منهم إلى الموت وقد هاجر العديد من الجزائريين إلى فرنسا للعمل فيها لكي ينفعوا عائلاتهم من حالة الفتك والفقر كما كان للفقر تأثيرا كبيرا على التربية أيضا حيث أعاق إلى حد كبير تطور التعليم في البلاد نظرا لانعدام المصاريف المناسبة للتعليم لدى الأولياء الأبناء....

وسواء عانى الروائيين الجزائريين حالة الحرمان والفقر أم لاحظوها في مجتمعهم فإنهم لم يبتغوا ولا ريب جامدين تجاهها فقد جعلوا أنفسهم بصورة تلقائية شهودا على الأوضاع التي يحياها شعبهم.

وباعتبار أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كانت تعكس منذ نشأتها إلى اليوم آمال وآلام أصحابها فإذا رجعنا إلى الأعمال الأولى التي ظهرت في بدايات الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وبالضبط في سنوات العشرينيات من القرن العشرين كانت تتمحور حول فكرة أساسية وهي محاولة التعايش مع الآخر تبعا لسياسة الإدماج فنظرا للصراع الحاد الذي كانت فرنسا سببا في تشويه نادت هذه الفئة من الأدباء بصورة التعايش مع المستعمر باعتباره مصدر الحضارة والقوة التي استخلصها من واقع الجهل الذي نعيش فيه، هذه كانت

---

[1] عايدة اديب باهية، تطور الأدب القصصي الجزائري، 1925-1967، ترجمة الدكتور محمد صقر ديوان المطبوعات الجامعية، ص76

أفكار هؤلاء والتي تجسدت بوضوح فغي كتاباتهم الروائية رغم أن لم يقتنع اقتناعا كليا بفكرة الإدماج اذ نجد شكري خوجة في رواية" العلج أسير البرابرة"

بحيث يصور لنا معاناة المثقف الجزائري المتشبع بالثقافة الفرنسية والذي يجد نفسه مهمشا من قبل المجتمع الفرنسي من جهة ومن جهة أخرى لا يلقى التجاوب مع أفكاره في المجتمع الجزائري الذي يطبقه التخلف"[1]

فهو يشعر أنه يقف على الهامش لكن هذا الموقف لا يشمل كل الفئة الداعية إلى الإدماج فها هو محمد ولد الشيخ" يصرح للعيان أنه قد أصبح واضحا أن البلاد استرجعت السلك والعيشة الهنيئة تحت حمى الحكم الفرنسي فلا وجود لمواطن عربي يقصد الجزائر لا يشعر اتجاه الوطن الأم بالعرفان للجميل السخي وخاصة بعد إخراجه من الظلمات إلى النور،[2]

فهو يعتبر فرنسا بلده الأم التي خلفته من الظلمات الجهل في الجزائر.

تضاف إلى هذه المواضيع السائدة في بدايات الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية قضية الزواج المختلط التي طرحت بكثرة في تلك الفترة والمراد منها إسعاد فرنسا وإرضائها ومن تلك الأعمال نجد "مريم بين النخيل" التي اعتبرت أكثر النماذج الروائية المطابقة لأطروحات الإيديولوجية الاستعمارية بسبب نهجها المؤيد لسياسة التوسع الاستعمارية وأكثرها تبشيرا بفكرة الإدماج عن طريق الزواج المختلط الذي قدمه محمد ولد الشيخ" كوصفة سحرية لكل مشكلة اختلاف الأعراف[3].

كما انبثق عن المدارس المختلطة في الجزائر نخبة مثقفة من الجزائريين الذين اتسعت نظراتهم للعالم وانجلت بصائرهم عما يحدث لبلادهم ، فاتخذوا من اللغة الفرنسية التي أرادوا

---

[1] ينظر: أم الخير جبور، الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية دراسة سيوسيو النقدية الملحق ، ص 45

[2] ينظر: احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 214.

[3] محمود قاسم، الأدب العربي المكتوب باللغة الفرنسية الهيئة المصرية للكتاب مصر، 1996، ص 104.

أن تكون بديلا عن لغتهم الأم وأن تعزز انتماءاتهم لفرنسا وسيلة لتحدث بلسان الشعب والدفاع عن حقوقه وتحصيل حريته من خلال كتابات قصصية وروائية تحاكي الواقع وتفضح زيف الإدارة الفرنسية في الجزائر وما ترتكبه في حق الشعب الجزائري فكانت جل الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية في هذه الفترة تحاكي الواقع المرير الذي يعيشه المجتمع الجزائري فمثلا نجد بأن الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية تمكنت من تسليط الضوء على بعض الآثار السلبية التي انتشرت في المجتمع نتيجة الاحتكاك بالثقافة الدخيلة منها الإدمان على الخمر ولعب القمار الظاهرتان التي عالجتهما تبعا لروايتي زهراء إمرآة المجمي" Zahra la famme de la mineur والتي تمثل فرحة في وجه الظلم الاجتماعي الذي كان الجزائري يلقاه في حياته اليومية واحتجاجا على عدم المساواة في الحقوق بين العامل الجزائري وزميله الأوروبي لعمل معه في المنجم نفسه"[1]

شكلت هذه الروايات بنية الأساس لاتجاه جديد شق طريقه داخل الأدب الجزائري باللسان الفرنسي فقد لوحظت طفرة هامة في نوعية المضامين التي حملتها الروايات، هذه الأخيرة أخذت على عاتقها تصوير واقع البؤس والحرمان الذي يعيشه الجزائري وتسليط الضوء على الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي فعقب الحرب العالمية الثانية ومجازر 08 ماي 1954 استفاق الشعب الجزائري من غفوته وتغيرت نظرته للعالم الغربي خاصة فرنسا التي رسمت معالم للتحضر والتطور للخروج من بؤرة التخلف لدى الجزائريين بعدما خلفت 45 ألف شهيد جزائري، وبما أن الرواية مرآة عاكسة للواقع والمجتمع فقد ازدهر إنتاجها الروائي وضبطت طريقها على واقع حي وعلى إيقاع الحياة والموت وغيرت كل مضامينها التي تدور حول الاندماج والمساواة والعدل والزواج المختلط... فالأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي تعدى كل هذا وحمل على عاتقه اقتحام العالم الداخلي للشعب الجزائري وتناول همومه وآلامه من الثالوث الأسود (الفقر، الجوع، التشرد) ومن أهم الروايات التي

[1] أحمد منور، ملامح أدبية دراسات في الروايات الجزائرية، دار الساحل للنشر والتوزيع، (د،ط)، (د،ت)، ص 24

شكلت منعطفا حاسما في تاريخ الرواية الجزائرية التي تجاوزت الصورة النمطية المقدمة سابقا عن العملاقة المثالية بين الإدارة الاستعمارية والأهالي لتغوص في واقع الشعب الذي كابد القهر لسنوات طويلة هي رواية الدار الكبيرة le grange maison سنة 1952 التي تصف الفقر والجوع السائد نتيجة الاحتلال وتكشف الستار عن فئة جديدة تسمى بالمناضلين الذين يعيشون بين أفراد الطبقات من الشعب وينشطون ضد الاستعمار الفرنسي ثم تلتها رواية الحريق l'incendié سنة 1954 لقد صرح محمد ديب فيها قائلا " لقد استولوا على كل شيء إنهم يريدون أن يصبحوا سادة أيضا لقد جعلوا من واجبهم الحقد علينا وها هم أولا ينتزعون كل يوم قطعة معاناة من لحمنا فيبقى مكانها جرح عميق ليسيل من حياتها" وراية النول 1957 حيث يعبر عن معاناة العمال والحرفيين والفلاحين من طرف المعمرين وعلى قساوة الحياة بحيث استعمل محمد ديب لغة المستعمر الفرنسي وحاربه ليكشف كذب أقوالهم وادعاء وتبيان حقيقة الظلم والقهر والمعاناة الذي يعيشها المجتمع الجزائري.

استعمل محمد ديب لغة المستعمر الفرنسي وحاربه بها ليكشف كذب أقوالهم وادعاءاتهم وتبيان حقيقة الظلم والقهر والمعاناة فكان يقوم بتصوير دقيق لمجتمع والواقع.

كما نجد رواية مميزة للغاية للمفكر الجزائري العظيم مالك بن نبي" لبيك حج الفقراء" والتي تعد الوحيدة عنده وهذه الأخيرة هي بمثابة رواية اجتماعية ذات بعد واقعي وكذلك أخلاقي تصور سلوك وحياة الرجل التائب (إبراهيم) وبنفس الوقت تظهر حالة المجتمع الجزائري إبان الاستعمار وأوضاع أفراده من الرجل وإمرة والطفل وتصور العلاقات داخل الأسرة والمجتمع معا.

ونجد أيضا الروائي مالك حداد في ورايته" رصيف الأزهار لا يجيب" رواية تأهبك غزالة والشقاء في خطر" لقد تميزت روايات مالك حادا بإشباع عاطفي خاص رغم بساطة تراكيبها النحوية"[1]

حيث أنه كشف مظاهر البؤس والحرمان الاجتماعي التي آلت إليه الأوضاع في الجزائر وخاصة في فترة الحرب الكبرى التي عانى منها معظم فئات المجتمع.

وبالتالي فإن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تبرز لنا" صور مختلفة لناس بمختلف اتجاهاتهم وهي تمزق الأقنعة عن وجود أولئك الذين يمثلون الطبقات المستغلة كما أنها تكشف بذلك عن وجود الأبطال الإيجابيين المناضلين"[2]، إ أن الأولية في موضوعات هذه الروايات كان لأناس يعانون من ثقافة العنف والاحتلال إضافة إلى عنف العادات والتقاليد المجتمع الجزائري.

كما نجد رواية نجل الفقير le fils de pauvre لمولود فرعون" الرواية التي طبعها على حسابه الخاص 1950 والتي كانت صرخة لفتى جزائري من منطقة القبائل كتب مولود فرعون عن الطفل الجزائري الناجح في دروسه على عكس الثورة التي يحبها المستعمر وهي صورة طفل في السوق أو الماسح الأحذية للمعمرين"[3]

وكذا روايته" الربوة المنسية" 1952 التي تبتدئ وقائعها في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية لتصور الوضع في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي، ليعبر الكاتب فيها عن مآسي الشعب وأحزانه وبؤسه"

---

[1] نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير الصراع اللغة الهوية، ص 225.

[2] سعاد محمد خضر، الادب الجزائري المعاصر منشور المكتبة العصرية، دط، 1967، ص 146

[3] نوال بن صالح الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير الصراع اللغة الهوية، مجلة المخبر أبحاث في اللغة الأدب الجزائري، العدد 07، جامعة بسكرة، 2011ن ص 223-224.

كذلك نجد مولود فرعون من خلال روايته" الدروب الدروب الواعرة" ضرب عصفورين بحجر واحد فقد صور الحالة الاجتماعية المزرية الصادرة عن الفقر في إحدى القرى، عن طريق شخصية البطل عامر هذا من جهة ومن جهة أخرى تناول ظاهرة أخرى وهي الهجرة نحو فرنسا هروبا من الواقع المتعفن وبحثا عن الرزق.

نستطيع القول أن كلا من" محمد ديب " و" مولود فرعون" اتكأ في سرد الأحداث على خلفية الحالة الاجتماعية التي يعيشها كل منهما وبالتالي استطاع تصوير الواقع تصويرا مباشرا خلافا للروائي" مولود معمري" الذي كان ميسور الحال ومن فقد استطاع أن يصور الواقع من وراء ضلال الرومنسية التي لطفت فضاضة الحياة الواقعية وقسوتها وذلك دون أن يشوه الوقائع الحقيقية"

فقد استطاع" معمري" رفقة معاصريه وبفضل مجهوداتهم من الالتزام بطموحات الشعب الجزائري ودعم الخروج عن إطارها يوما.

ولم يغفل الكتاب الروائيون عن تصوير أحداث الثورة التحريرية وكشف أبشع صور القتل والتعذيب والاعتقال... وتقديم صور بطولات المقاومة الشعبية وتخليد تضحياتهم وهذا إما ظهر جليا في روايات مالك حداد الانطباع الأخير la derniere impression سنة 1958 التلميذ والدرس l’élève et la leçon ورصيف الأزهار لا يجيب.

في حين أسرت آسيا جبار أن تناقش في أعمالها الروائية موضوع حرية المرأة متباعدة بذلك عما يدور في حرب التحرير وقد تجسدت هذه الرواية الخاصة في روايتها " القلقون" والتي ضمت فكرتين: هما التحرر والحرية من خلال الشخصية الرئيسية " دليلة" التي سئمت من قيود عائلتها المحافظة فلحقت بحبيبها بفرنسا فبحث عن الحرية التي افتقدت

في وسط مجتمع خلقها بقيود العادات والتقاليد[1]، فآسيا جبار أرادت من خلال هاته الرواية العطش أن تأخذ بيد المرأة الجزائرية إلى التحرر على الطريقة الأوروبية.

وقد نهج العديد من الروايتين نهج محمد ديب بحيث نهج مولود معمري في روايته نوم العادل الصادرة سنة 1955 التي تحدث فيها عن البؤس والحرمان والبطش والتعذيب في القرى القبائلية وأيضا رواية نجمة Nedjma سنة 1956 لصاحبها كاتب ياسين حيث يتناول فيها مخاطر الظلم والعنف والاستغلال الذي مارسه المعمرون على الشعب الجزائري، وبصورة أيضا أحداث مجازر 08 ماي 1954 التي استحقر فيها المستعمر المتظاهرين من أجل الحرية والعدالة وقد اعتبرت كتابات كاتب ياسين من الكتب التي تسيق الثورة وتخطط لها[2].

أما بعد الاستقلال لم تأخذ هذه الفترة اتجاها مغايرا من حيث المضمون إذا كانت تقوم بتصوير أحداث ومشاهد من صميم المجتمع والثورة التحريرية والتعبير عن مأساة الشعب تصوير معاناته، ومن بين الروايات أو الأعمال التي انتمت إلى هذا الاتجاه رواية qui se suivant la mer 1962 لمحمد ديب غير أنها كانت بأسلوب مغاير حيث لجئ فيها إلى استعمال الرمز والتكييف الشديد للأحداث، ليعبر بذلك عن أجواء التوتر والرعب التي كانت تسود المدن، وعن حالة الخراب والدمار التي آلت إليها القرى والمداشر.

وقد وصف هذا الاتجاه الثوري بكونه منحازا للثورة ومتأثرا بها، كذلك نذكر أطفال الجديد Les enfant du nouveau mande 1962 لآسيا جبار شملت على مشهد عمليات المقاومة الفدائية داخل المدن ورواية " الأفيون والعصا" 1965 لمولود معمري، حيث عبر فيها على ظلم المستعمر في تهديم القرى والمداشر وتهديم المساكن الشعب على

---

[1] ينظر: آسيا جبار، القلقون منذر الجابري منشورات دار الاتحاد، بيروت، لبنان، ص 194.

[2] ينظر: أمين زاوي: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، بحث في تطور علاقة الإنتاج الروائي الإيديولوجية من 1830 إلى 1982 ماجستير 1883 دمشق، ص 320.

رؤوسهم ووصف الحياة الصعبة داخل المعتقلات والسجون وتنظيم عمليات الهروب منها كما وصف في روايتين " أصابع النهار" 1967 لحسين بوزاهر les cinq doigts du jour و رواية أسلاك الحياة الشائكة لصلاح فلاح 1962"

ولعل ما يميز النصف الثاني من الستينات مغادرة الكتاب الجزائريين واختيار العيش خارج الوطن خاصة بعد سنة 1965 وقد عرف أدب هذه الفترة المنشور بفرنسا بأدب النزعة الاجتماعية والسياسية حيث انتقدوا الأوضاع الاجتماعية السيئة التي يعيشها الشعب ونذكر من هذه الروايات روايتي" رقصة الملك" la dance du roi" 1968 و" إله أرض البربر dieu en barbare 1970 لمحمد ديب وروايتي " التطليق 1969 وضربة حظ" 1970 لرشيد بوجدرة" وقد سعد هذا الأدب إلى توجيه الجماهير إلى واقع أدبي أفضل لمسايرة الثورة المشتركة من اجل إنقاذ الأمة من كل ما ورثته عن الاستعمار من تخلف وجهل وبؤس أما عن أعمال التسعينات فقد شهد المجتمع الجزائري أوضاعا صعبة على كل المستويات في ظل تزايد خطر الإرهاب الهمجي مما جعلتها فترة جدب أدبي بسبب العنف والخوف والهجرة، فالكثير منهم أجبر على الصمت تحت وطأة التهديد ومنهم من خسر حياته مقابل جرأته.

فقد استمر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية طوال فترة التسعينات حاملا في طياته صوت شعبه إلى الآخر وتقرير معاناته من فقر وجهل وتخلف وكل مخلفات الاستعمار التي كانت دائما تنعكس سلبا على المجتمع

فبعد مظاهرات أكتوبر 1988 التي قادها الشعب الجزائري بسبب الظروف المعيشية المتدنية وتفشي البطالة واللامساواة والآفات الاجتماعية من رشوة وجهوية والانتهازية التي شوهت المجتمع آنذاك وجدت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية مسايرة لهذه الأوضاع إذ كثيرا ما عبرت عن هذه الظروف بشكل كبير وقد تجلت هذه الصورة لدى الكثير من الكتاب والروائيين لا سيما هذه الفترة " وتد أعمال لرشيد ميموني) القصصية والروائية الأخيرة

أبرز النماذج في هذا الصدد مثل نماذجه في مجموعة القصصية" حرام الغولة" 1990 ورواية اللعنة 1993.

ومنه نرى ان الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية أكسب الساحة الأدبية فارضة وجودها بعد كل الصعوبات التي واجهتها من تشكيك في هويتها إلى التغلغل من دورها لكن بعدما تتبعنا مسيرتها منذ نشأة وإلى غاية يومنا هذا تبين الدور الجليل الذي قامت به الرواية الجزائرية وإن كتبت بالفرنسية إذ لا يمكن التشكيك في فاعليتها سواء أثناء الثورة ينقل القضية الوطنية إلى العالم كافة أو بجهودها المتواصلة لبناء مستقبل أفضل بعد الاستقلال إلى يومنا هذا فالرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية كانت ولا تزال المرآت العاكسة لهذا المجتمع فقد أضفت الكثير للأدب الجزائري بل وأكثر من الرواية المكتوبة بالعربية بشهادة المجتمع.

المبحث الثاني: تجليات الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

1-مفهوم الهوية الثقافية والاجتماعية واللغوية:

إن كتابة الرواية عمل واعي ومتخيل يرتكز على أحداث واقعية تؤثر في الكاتب وتدفعه للإبداع نص فني يستمد من الواقع صوره ولكنه يتأنى عنه من الخيال، إلى عوالم موازية تمنع النص، تفرده ونميزه عن الواقع وعن غيره من النصوص، ولما كان لكل رواية هوية ترتبط غالبا باللغة التي كتبت بها والكاتب الذي أبدعها والفضاء الزمني والمكاني الذي يدور فيها أحداثها بالإضافة إلى جمهور القراء الذي يستطيع فك طلسمها وفهم مكوناتها فإن بالإمكان تحديد الهوية والثقافة التي تنتمي إليها الروايات ولكن ليس كلها لأن الرواية موضوع

الدراسة (أي الرواية التي أبدعها كتاب جزائريون بالحرف الفرنسي) يطرح تضعيفها إشكالية لدى النقاد والباحثين من حيث هويتها وانتماءها ولفهم ذلك ينبغي أولا البدء بتحليل ماهية الهوية وتقاطعها مع الثقافة وتحديد خصائصها ومميازتها ومظاهرها في النص الروائي.

يتميز مفهوم الهوية بغموضها وتعدد معانيه وهذا لأنه مفهوم حديث وقد تبلورت فكرة الهوية في خمسينات القرن الماضي في الولايات المتحدة، عندما عانت من مشاكل ناجمة عن اندماج المهاجرين الجدد في المجتمع الامريكي بتنوع خلفياتهم الثقافية، فجرى البحث عن مفهوم ديناميكي للهوية لتجاوز تلك العقبات ولتنصهر ثقافتهم العديدة في بوتقة الهوية القومية الواحدة.

مفهوم الهوية: تعتبر الهوية مجموعة من التفاعلات المتبادلة بين الفرد ومجتمعه وتتميز الهوية الاجتماعية للفرد بمجموعة من انتماءاته كالانتهاء إلى طلقة جنسية أو عمرية أو اجتماعية... الخ، كما أنها تسمح للفرد التعرف على نفسه في المنظومة الاجتماعية ويمكن للمجتمع من التعرف عليه.

لغة: يشتق المعنى اللغوي لمصطلح الهوية من الضمير "هو" اما مصطلح" الهو" فهو يتركب من تكرار" هو" فقد تم وضعه كاسم معرف" بـ" ال" ومعناه الاتحاد بالذات، ويشير مفهوم الهوية إلى مجموع القيم الشخصية والتقاليد والعادات والمقومات، وجاء في المعجم الوسط الصادر عن مجتمع اللغة العربية بأن " الهوية" فلسفيا لحقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره وهي بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى الشخصية أيضا).

أما في اللغة الانجليزية فتعني الهوية: تماثل المقومات أو الصفات الأساسية في حالات مختلفة وظروف متباينة وبذلك يشير إلى الشكل التجميع أو الكل المركب لمجموعة

من الصافات التي تكون الحقيقة الموضوعية لشيء ما، والتي بواسطتها يمكن معرفة هذا الشيء وغيره على وجه التحديد)[1].

جاء في قاموس المنجد في اللغة العربية أن معنى الهوية هو" حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشملة على صفات الجوهرية[2]، وذلك منسوب حسب ميلها في اللغة العربية من الضمير المنفصل هو الذي يدل على الذات الشيء أو الشخص المستقلة عن الذوات الأشخاص الآخرين[3].

ومعنى ذلك ما يميز شيء ما بسمات وصفات خاصة عن شيء آخر أي ماهية الشيء وجاء في لسان العرب" هوية تصغير هوة وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة وعرشها سقفها المغطى عليها بالتراب صغرته ب واطئه فيقع فيها ويهلك وقيل الهوية لبئر[4]

وهي بهذا المعنى تشير إلى ثبات الشيء على الرغم مما يطرأ عليها من تغيرات.

والهوية في قاموس المحيط هواء الجو والهاوية التي تؤدي بك إلى السبيل من مكانك كما أقول أيضا الشيء الذي يتخلله فجو[5].

فالهوية هنا تجعل أكثر من معنى فتدل على الجو القريب من سطح الأرض والذي يلاصقها والهواء الذي تستنشق كما تدل على الحفرة أو الفجوة أو الفراغ البعيد القرار.

والتقليديون يرون الهوية الحقيقية قارة وأساسية لا يتعر بها الشك بينما يرى ما بعد الحداثين أن الهوية أقرب إلى الوهم، وبالتالي هي فكرة خيالية[6].

---

[1] رشدي احمد طعيمة، الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس، القاهرة، دار الفكر العربي، 1998، ص 35

[2] لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، الطبعة 8 ، بيروت، مادة هوية، ص 565-564.

[3] أحمد منصور الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطورهن وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

[4] ابن منصور لسان العرب، تج: المستقبل للنشر الإلكتروني بيروت، لينان، 1995، ص 4768.

[5] الفيروز أبادي القاموس المحيط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط8 ، 2005، ص 1348.

[6] سعج البارزتي شرفات للرؤية حول الحوكمة والهوية المركز الثقافي للنشر والتوزيع 2005، ص 25

المفهوم الاصطلاحي: يقول ابن رشد في كتابه ما بعد الطبيعة " إن الهوية تقال بالترادف للمعنى الذي يطلق على اسم الموجود وهي مشتقة من "الهو" كما تشتق الإنسانية من الإنسان"[1]، وبهذا يعود بنا إلى مفهوم الهوية أو الذاتية في منطق أرسطو باعتبارها تمثل الشيء مع ذاته، فهوية الإنسان هي جوهره وحقيقته ولما كان شيء من الأشياء لثوابت والمتغيرات فإن الهوية الشخص هي ثوابته التي تحدد لا تتغير، تتجلى دون أن تخلي مكانها لتقبضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة.

تجمع الهوية ثلاثة عناصر أساسية هي: العقيدة التي توفر رؤية للوجود واللسان الذي يجري التعبير به والتراث الثقافي الضارب في التاريخ، وهي نفس السياق يرى جاك يبرك[2]" إن الهوية تحدد من خلال:

- الاستمرارية والتحول لأنه لا توجد هوية من دون تعبير.
- في الهوية يلتحم الذاتي مع الموضوعي من خلال تبادل كل من الأنا والآخر النظرة إلى هويتهم.
- الهوية نشطة وحركية.
- الهوية كلية أي مركبة تنقسم إلى عناصر وأجزاء مترابطة.
- تتميز الهوية بالتبادل بين أجزائها مع هويات أخرى في علاقة جدلية مات يجعلها متحركة وحية، فأما الهوية المستمر فتناقل خطواتها الكبرى الأجيال من جيل إلى جيل، وأما الهوية المتحولة فتشكل بواسطة التأثيرات التي تتلقاها، وتعتبر الهوية المرآة

---

[1] ابن رشد: تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطو طالبة، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، مصر، 1958، ص 11

[2] جاك بيرك، 1995/1910 هو مستشرق ومؤرخ ومترجم فرنسي.

العاكسة لرسم الذات خشية الذوبان والاضمحلال إن الهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية، وإنما مشروع مفتوح على المستقبل أي أنها متشابك مع الواقع والتاريخ[1].

خصائص الهوية:

1-عناصر مادية فيزيائية: الحيازات، الأسماء والملابس والمساكن.

- القدرات: القوة الاقتصادية والمالية والعقلية
- التنظيمات المادية: التنظيمات الإقليمية والدولية والمحلية.
- الإنتماءات الفيزيائية: الانتماء الاجتماعي والتنوع الجغرافي والسمات الفيزيولوجية.

2-عناصر تاريخية:

- الأصول التاريخية: الأسواق القرابة، القبلية.
- الأحداث التاريخية الهامة: التحولات السياسية، التنشئة الاجتماعية.
- الآثار التاريخية: العقائد، العادات والتقاليد

- عناصر ثقافية:

- الأثر الثقافي: الأديان والرموز الثقافية، أشكال التعبير المختلفة.
- الأثر المعرفي والسمات النفسية الخاصة، نظام القيم.

عناصر نفسية اجتماعية:

- القيم الاجتماعية: الكفاءة والنوعية والقدرة
- القيم النفسية: نمط السلوك والقدرة على التكييف.

- **العلاقة بين الهوية الثقافة:** يعد مفهوم الثقافة أحد المفاهيم المرتبطة بمفهوم الهوية والمتداخلة معها إلى درجة الاعتقاد بأنه لا وجود للهوية بعيدا عن الثقافة[1]، وتتم الإضارة

[1] شهيب عادل، مقال بعنوان الثقافة والهوية، إشكالية المفاهيم والعلاقة، موقع أزتروبس الثقافة، الهوية، إشكالية المفاهيم ، اطلع عليه بتاريخ: 2015/01/19 الرباط، http://www.ararthopos.com

إلى الثقافة في معظم الدراسات والأبحاث حول الهوية باعتبارها مرادفا لمفهوم الهوية ولذا نرى من الضروري أن نحدد ونعرف من علاقتها بالهوية وموقعها فيها.

يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم الأكثر غموضا في كل اللغات لأنه يراد التعبير بكلمة واحدة عن مضمون شديد التركيب والتعقيد والتنوع[2]، كما يعتبر ملازما للعلوم الاجتماعية وهو ضروري لها إلى حد ما للتفكير حول وحدة البشرية من خلال التنوع بشكل يختلف عن التفكير المستند إلى البيولوجيا، كما أنه كلمة" الثقافة" فرنسية المنشأ.

ترتبط الهوية والثقافة علاقة وطيدة ولا يمكن الفصل بينهما، ومن هنا تبرز الهوية الثقافية كمحدد للتغيير بين تحن " وهم" وتبدو الهوية الثقافية أول ما يكسبه الفرد من محيطه ويحاول أن يتماثل ويجسدها.

وبعض النظريات تقول إن الهوية الثقافية هي الهوية الأساسية التي يبدأ بها البناء، ذلك لأن الانتماء للمجموعة العرقية هو أطول الانتماءات الاجتماعية وأكثرها جوهرية، ومن هذا تبدو الثقافة بالنسبة للهوية كاللباس بالنسبة للجسد فهي تصبح الهوية بعناصرها وتشكل صورتها لدى الآخر، فلو أخربت شخصا عن بلدك تشير في مختلف عادات وتقاليد وحتى معتقدات شعبك.

قد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة، كما أن تتنوع الهوية في الثقافة الواحدة، وذلك ما يعتبر عنه في إطار الواحدة فقد ينتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة تمتزج عناصرها مشكلة هوية واحدة[3].

---

[1] أميرة كشغري، الهوية الثقافية بين الخصوصية والتبعية (مقاربة معرفية ، اجتماعية)، ورقة عمل مقدمة في برنامج الفعاليات الثقافية المصلحة لمعرض الرياض الدولي للكتاب، من الانترنت.

[2] عادل شهيب، الثقافة والهوية (إشكالية المفاهيم والعلاقة) ص 04.

[3] عبد العزيز التويجري، الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية، ص 09.

فعلى سبيل المثال تشكل الهوية الإسلامية من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام سواء اعتقدته أو بقيت على عقائدها التي كانت تؤمن بها، فهذه الثقافات امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية وأصبحت بذلك هوية إنسانية منفتحة وغير منغلقة وتعني العلاقة بين الهوية والثقافة علاقة الذات بالإنتاج الثقافي ولا شك أن أي إنتاج ثقافي لا يتم في غياب الذات.

- مفهم الثقافة وخصائصها:

- **المفهوم اللغوي:** وردت في معجم لسان العرب في مادة" الثقافة" ما يلي:

" ثقف الشيء وثقوفا: خدمة ورحل ثقف: حاذق الفهم" [1] فلم يأتي لفظة الثقافة مع المعنى السائد اليوم وحولها، أي أن المعاني القديمة للكلمة اختلفت في المعنى الذي تقصد به اليوم.

- **المفهوم الاصطلاحي:**

يعرف ره. لويس الثقافة فيقول:" هي ذلك المجموع الكلي لما يكتسبه الفرد من مجتمعه، تلك المعتقدات والأعراف والمعايير الجمالية كتراث من الماضي ينتقل إليه بواسطة التعليم وغير الرسمي"[2]

أما التعريف الأكثر شمولية وشويعا في الدراسات الإنسانية والاجتماعية قدمه لنا –أ تايلر– E– Taykor حيث يقول: الثقافة هي ذلك الكل المركب المعتقد الذي يشتمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكسبها بوصفه عضوا في المجتمع"[3]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة ثقف، اطلع عليه بتاريخ: 2012/02/02، الرابط،

[2] سعيدي محمد، مقدمة في أنثرولوجيا الثقافة الشعبية، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص 10–11.

[3] سعيدي محمد، المرجع نفسه، ص 11

إذن الثقافة أنماط سلوكية معنية وتنظيم إقليمي للشعوب اضطلعت عليها وتناقلتها الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي، والخبرة بشؤون الحياة والممارسة لها، إنها ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتغيرات والإبداعات التي تتطور، بفعل ديناميكيا الداخلية وقابليتها للتواصل و الأخذ والعطاء.

ونظرا لتعدد مفاهيم الثقافة وتشبعها قامت الأمم المتحدة بتبني تعريف شامل جاء به إعلان مكسيكو" إن الثقافة بمعناها الواسع يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنها جميع السمات الروحية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا يعين أو فئة اجتماعية يعينها وهي تشمل الفنون والتقاليد والمعتقدات".

- خصائص الثقافة:

- الثقافة المكتسبة وليست وراثية.
- تنتقل الثقافة من جيل إلى آخر من خلال العادات والتقاليد والقوانين وعملية النقل تتم بالتعلم مع إضافة كل جيل لمسته الخاصة.
- الثقافة قابلة للتعديل والتغيير حسب الظروف الخاصة بكل مرحلة زمنية.
- ثمة علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة فمن خلال هذين المفهومين الشاملين تتح مفهوم الهوية الثقافية التي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا باحتكاكها مع الهويات الثقافية الأخرى وتتحرك في ثلاث دوائر هي:

الفرد داخل الجماعة والجماعات داخل الأمة وصولا إلى الأمة بين الأمم الأخرى، وكل دائة لها ما يميزها وقابلة للتعدد والتنوع والاختلاف.

من خلال التعريفات المذكورة يمكننا القول أن الهوية بمعنى يحدد الفرد ويعطيه يشكل لا يقبل الجدل وتعتبر الخصائص والمميزات الثقافية جاملا للهوية الفردية والجماعية على حد سواء.

- **المكونات الثقافية للهوية:**

تختلف الهوية عن الثقافة داخل الوطن الواحد، فالهوية هي: ما يميز مجتمع عن غيره، رغم وجود تنوع واختلاف في بعض المكونات الثقافية المحلية لكن هناك ذاتية عامة تشكل الهوية الوطنية لأي مجتمع، فالكل يختلفون في الجزئيات والوسائل ولكنهم يتفقون عن الأهداف العامة لوطنهم الموحد، أما الثقافة فلا يشترط فيها أن تكون واحدة فقد تتنوع داخل المجتمع الواحد لأنها تشكل الرؤية الخاصة بكل فئة، فهناك ثقافة السلطة وثقافة المعارضة، الثقافة المحلية القديمة وثقافة العشيرة والطائفة..الخ.

غير أن هذه جميعها ينبغي أن نحدد ما هو مشترك وكلي، وننتج هدفا واحدا ورؤية واحدة تستقبل هذا ما يمكن أن يجتمع ما نسميه ب" الهوية الثقافية الوطنية والقومية" حيث تتداخل الهوية العامة بالثقافة الجزئية، لتميز ثقافة كلية للمجتمع الواحد، وهذه الكلية لا تنكر التنوع بل تحتويه وتنميه في جوفها.

وهكذا اجتمع في مفهوم الثقافة الواحدة ما هو ذاتي وما هو موضوعي، وما هو فردي خاص وما هو مجتمعي ووطني عام وتعتبر الهوية الثقافية الوطنية من أكثر الظواهر تطورا بين ضحايا الاستعمار السابقين في تاريخ العالم في أواخر القرن 20[1].

وإذا كانت الهوية تتميز بالموضوعية والثبات النسبي البطيء، فإن الثقافة تتميز بالذاتية والنسبية وتكون أكثر حركة وأسرع في التطور، وتمثل الإضافات المتحدة للهوية حيث تبدأ بالإبداعات الفردية والجزئية وحينما تتراكم في إطار الهوية الوطنية الأشمل، فإنها تشكل ذلك النسيج المتعدد للروح الكلية، وبهذا المعنى الرؤية العامة للأمة، حيث تحدد تصورها للمستقبل.

---

[1] كوبر آدم، الثقافة والتفسير الأنثرولوجي، ترجمة صباح الدملوجي، المنظمة العربية للترجمة، د،ت، ص 19.

فالهوية الوطنية أو القومية عناصر ومكونات جوهرية، يتصف بعضها بالثبات الشعبي ويتميز بعضها بالقبائلية للتطور والتحول عبر الإضافات الجديدة للأفراد، ويمكن القول أن المكونات الجوهرية التي تنتمي إلى حقل الهوية هي الأكثر ثباتا مثل: الإقليم الجغرافي الواحد أرض الوطن، والأصل القومي الواحد، واللغة التي تعد تعبيرا عن لسان الأمة إلا أن اللغة يمكن أن تكون ثابتة أو متغيرة، أي أنها تشترك في الهوية وفي الثقافة لكونها قابلة للتعبير فهناك كثير من الشعوب غيرت لغتها أو طورتها من لهجة محلية إلى لغة مقروءة ومكتوبة، أما الأشكال الفكرية والروحية مثل: الدين والعادات والتقاليد والتاريخ المشترك والآداب والفنون، وكل منجزات الفكر فتنتمي إلى البعد الثقافي من الهوية، وهو العنصر الأكثر قابلية للتطور والإضافات المتحدة التي تغني وتثري المكونات الأساسية للهوية إذن الثقافة" ببساطة من أكثر هيئاتها عمومية طريقة الكلام حول الهويات الجمعية"[1]

3- الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء:

تعد إشكالية الهوية والانتماء في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من أهم الإشكاليات المطروحة في الساحة الأدبية وأكثرها تداولا من النقاد والباحثين فمنهم من يرى أنها أدب فرنسي وذلك على أساس أنها كتبت باللغة الفرنسية في حين يرى البعض الآخر انها جزائرية انطلاقا من روحها وواقعها الجزائري.

إن الذين ذهبوا أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية هي أدب فرنسي بحت فقد اعتمدوا في هذا الرأي على اللغة التي كتبها فهم يعتبرون أن اللغة هي الخاصية الجوهرية التي تحددها هوية الأدب وانتمائه وهذا ما خلص إليه عبد الله الركيبي الذي اعتبر اللغة هي: أداة الأدب الأساسية وهي التي تحدد هويته وانتمائه الخاص للجنس أو وطن أو تاريخ أو جغرافيا أو غير ذلك"[2]، ووصل بهم الأمر إلى حد تهجينه والحط من شأنه وقيمته وذلك

---

[1] المرجع نفسه، ص 21

[2] عبد الله الركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، دط، الكتاب العربي، ص 39.

يرفضهم وإنكارهم على هؤلاء الروائيين اللجوء إلى لغة المستعمر لأنهم رأوا فيه: أدبا دخيلا نبت في ظروف غير شرعية[1] ،في حين رأى بعض أن هذا الأدب لا يعبر عن الأمة المغربية بصفة عامة ولا الجزائرية بصفة خاصة فهو حقا لا يتطرق لواقعها ولا لمتطلباتها حتى أنه لا يمكن الحزم بأنه مغربي حقا فهناك من يشك ويقول بفرنسية هذا الأدب كما ورد في وقل عبد المجيد جنوت في هذا الأدب بأنه " يعبر عن واقع بلغة أدب آخر جاء إليهم شاذ فلا هو مغربي صميم ولا هو فرنسي صميم"[2]

ومعنى هذا أنه إذا نظرنا للشكل فنجده يشير إلى ثقافة المستعمر ومتمثلة في اللغة أما المضمون فنجده يشير إلى مجتمعه وبيئته المحلية وسلط الضوء على ما يخصها ويتعلق بها، أما الذين رأوا فيه أدبا جزائريا أصيلا فقد أطلقوا من مرجع عدم إفشاءهم من أن اللغة هي سبب كاف ومقنع لتصنيف هذا الأدب وهذه فرنسا حيث تقول عايدة أديب باهية أن استعمال لغة مشتركة وهي الفرنسية لم يوجد وحدة وتماثلا بين الكتاب الجزائريين والفرنسيين ولا يمكن هذا الاختلاف في الأسس أو الخلفية التعليمية التي تعتبر متماثلة غالبا بالنسبة لكلا الفئتين بل يرجع العوامل كلا منهما فالجزائريون التي مرت المباشرة لأرضهم.. في حين، أن اللغة لأخرى متعلقة بالأرض فقط[3].

فالجزائري ابن هذه الأرض ولد وترعرع فيها والذي يحمل في قلبه كل مشاعر الوطنية والحب لهذا الوطن في حين أن الفرنسي لا يربطه شيء بهذه البلد سوى أنه موجود على أو منها ومنه فكان واجبا علينا أن نقصر عبارة الأدب المكتوب باللغة الفرنسية على ذلك الأدب الذي كتبته جزائريون لانهم هم فقط من يستطيعون التعبير عن هموم الأمة الجزائرية.

---

[1] محمد الطهار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 494.

[2] عبد المجيد حنون، صورة الفرنسيين في الرواية المغربية، ص 98

[3] عايدة أديب باهية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 53

أما عن ذلك الأدب الذي تكتبه الفئة لا ترى فيكمن القول أنه أدب فرنسي كتب في الجزائر يعبر عن العظمة الاستعمارية ولذلك فمن الرغم وأحاسيسهم تختلف عن مشاعر وأحاسيس الجزائريين كما أثارت إليه عايدة أديب باهية في هولها: فشعور هؤلاء مثل شعور فرنسيين يقيمون في الجزائر وليس جزائريون يكتبون بالفرنسية"[1].

ولذلك كان ما كتبه هؤلاء الأدباء كان بغية تحقيق غايات فرنسية في الجزائر من أجل استغلال هذه الأخيرة كموضوع لذلك الهدف وهو ما يظهر جليا في كتابات بعض الأدباء من تلك الفئة ومن بينهم البير كامو على خلاف الكتاب الجزائريون الذين عاشوا مشاكل شعبهم وذاقوا من همومه ولذلك عبروا عنها بكل صدق وشفافية لذلك اختلفت نظراتهم فكل ينظر للقضية من وجهة نظره وهذا ما ذهب إله عبد الله الركيبي في قوله:" إن الفرق يتماثل في الرؤية فرؤية الكتاب الفرنسيين تختلف عن رؤية الكتاب الجزائريين ذوي اللسان الفرنسي"[2].

فالأدب الجزائري هو ما كتب من طرف الأدباء الجزائريين بأي لغة كانت وهذا ما أثارت إليه عايدة أديب باهية في قولها " الأدب الجزائري هو كل عمل أدبي، مؤلف باللغة العربية أو اللغة الفرنسية من قبل أي من سكان الجزائر الأصليين"[3]

أما الآن فلم تعد هناك أية إشكالية في انتماء وهوية الأدب الجزائري فقد توقف ذلك الاستهجان والتشكيك في انتساب وأصبح اعتباره أدبا جزائريا من المسلمات لكونه أدبا فريدا من نوعه له خصائص متميزة كما أشير له من طرف الكاتبة عايدة أديب باهية في قولها:" أن الأدب الجزائري باللغة الفرنسية ضمن نطاق المثاقفة التي حتى وإن تمت بطرق عنيفة (الاحتلال) وفرضت الثقافة الجديدة على الثقافة المحلية فرضا فإنها شكلت أدبا فريدا من

---

[1] عايدة أديب باهية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، 53

[2] عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العرب، 2005، ص 211

[3] عايدة أديب باهية، تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، 51

نوعه ميز الأدب الجزائري عن غيره من الآداب الأوروبية والعربية[1]، للغة المحلية وفرضت اللغة الفرنسية وكل هذا لم يمنع تشكل أدب ذا طبيعة خاصة ومتميزة لأنه حد عندما تجمع الروح الشرقية للجزائر لثقافة الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الجزائريون تكون النتيجة ادبا أصيلا[2] وهذا الذي حدث بالفعل بعد التزاوج والاندماج.

وكان هذا الأدب لمدة طويلة سلاحا خطيرا، اعتماد عليه الكتاب الجزائريين في معركتهم ذد الاستعمار وإن كذبوا بلغته، فقد كانت كتاباتهم ثورة على شرائعه وقوانينه الحائزة حيث يقول مولود معمري في هذا الشأن إنني على ثقة أن المناضل هو الذي يطلق العار على الآخرين وفي الإمكان أن نطلق العبارات النارية بواسطة القلم هذا الحل الكاتب، قلما لما كان القلم سلاحا مرعبا تخشاه كل السياسات والحكومات الجائرة على مر العصور لأنه بإمكانه أن يفعل ما لم يفعله السلاح.

4-مظاهر الثقافة الجزائرية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

لم تخل الروايات الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية من مظاهر الثقافة الجزائرية وتجليات الموروث الشعبي فيها فقد جرى غالبا تصوير الفرد الجزائري إلى جانبه بؤسه وفقره، فهو غالبا ضعيف البنية وسليط اللسان في أوقات اليأس، مقارنة بالأوروبي الذي وصف بالسمين لإفراطه في الأكل والأنيق بحكم الغنى، وعلى سبيل المثال لا لحصر فذكر شخصية لخضر في نجمة في مقابل شخصية أرنست.

لقد جرى التأكيد أن المسافات تقاس بالكيلومترات ولكن الهوة التي فصلت مجتمع المعمرين عن مجتمع الأهالي من الجزائريين تقاس بالسنوات الضوئية رغم انها تشاركا كالعيش على الأرض نفسها، ولكن تمسك كل منهما بطريقة عيشه وعاداته حالت دون

---

[1] فاطمة الزهراء حبيب، تر: الثقافة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، معهد الترجمة جامعة وهران، 2015، ص 45.

[2] http://www.alsaker.com 14/02/2016

الاختلاط والانصهار في كتلة واحدة ويظهر ذلك من خلال تسمك الجزائري بالأزياء الوطنيي، فلبس الرجال" الشاشية" ولبس النساء" الحايك" وأحيوا الأعياد الدينية العربية القبائلية والإسلامية كتأكيد على الثقافة الجزائرية البعيدة عن الثقافة الفرنسية التي لم تفهم الكثير من مظاهرها.

يكشف محمد ديب في ثلاثيته بعضا من الخصوصيات التي ميزت المجتمع الجزائري وجموع النسوة على وجه الخصوص، فكن يضعن على رؤوسهن مناديل من باب الحياء،[1] فلا يوجد من تكشف عن شعرها خشية الالتقاء برجل بحكم أن أشغال البيت تستدعي منهن التنقل من مكان إلى آخر، ويعوض بمناديل مزين في الأعياد أو الأفراح، ويلتفت مولود معمري نظر القارئ إلى عادات تميز النساء في المجتمع القبائلي ومنها الفوطة التي لا تفارقهن باللون الأحمر وحضور معدن الفضة دون غيره للتزيين بالإضافة إلى عادة وضع السياسة على الشفتين علامة على الدهشة أو التركيز أثناء الاستماع.

وتحتل المرأة الجزائرية دورا مهما في الحفاظ على أصالتها وتراثها فالزي القبائلي كان حاضرا برمزية في روايات مولود فرعون إذ يقول" مولود فرعون" واصفا اللباس القبائلي بدقة:" كانت ترتدي قندورة بيضاء ذات ورود صغيرة وعلى خاصرتها فوطة من القطن يمسكها خيط أحمر بدلا من الحزام[2]" فاللباس القبائلي يعود إلى السنين مع امتداد الحضارة الأمازيغية ترتيب المرأة في الأيام العادية ويعتبر جزءا من اللباس الفولكلوري القبائلي، وقد استعمل " مولود فرعون" كلمة فوطة في النص الأصلي ليضفي لمسة محلية.

---

[1] الطالبة حبيب فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مذكرة ماجستير 2015-2016، ص61.

[2] مولود فرعون، نجل الفقير، ص100

كما تحدث مولود معمري فغي روايته عن عادات تميز النساء في المجتمع القبائلي حيث نذكر" الفوطة" التي لا تفارق النسوة وتكون عادة حمراء بالإضافة إلى ترتيب النسوة بمعدن الفضة والتي تعتبر رمز زينة المرأة القبائلية"[1]

- مظاهر الثقافة الدينية:

يعد الدين الإسلامي محور من محاور الثقافة الجزائرية وهذا ما دفع بالمستعمر الفرنسي إلى محاولة محوه، غير أن الشعب الجزائري وها ما دفع بالمستعمر الفرنسي إلى محاولة محوه غير أن الشعب الجزائري لم يخضع لسياسة المستعمر وتمسك بدينه وحافظ على عقيدته الإسلامية وهذا ما أوضحه " مولود فرعون" في عدة محطات من روايته بالإضافة إلى استعماله بعض المفردات الدالة على الدين الإسلامي منها الصلاة، الجنة، الحرام، القدر، يوم الحساب، الرسول..الخ.

أما محمد ديب فيتوقف عند مظهر أداء الواجبات الدينية مثل أداء الصلاة وقراءة القرآن، ويتطرق إلى فلسفة الوجود وعلاقتها بالإيمان، كما يكشف عن بعض السلوكيات المنافية للدين مثل: شرب الخمر واللجوء إلى القبب والمشعوذين[2].

أما مالك حداد فقد بدأ روايته الشهيرة je t'offrirai une gazelle سأهبك غزالة" على نحو التالي: ما أعظم الله فهو عظيم بقدري ما أنا وحيد..: ويلاحظ أن الروائي بدأ روايته بتعظيم الله وذكره اسما من أسماء الله الحسنى وهذا مظهر من مظاهر الدين الإسلامي.

ينقل مولود معمري فكر الجزائريين الذين درسوا في المعاهد الغربية وتأثروا بالفلسفة الإنكارية الوجودية فيتخذوا كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامي، بل حاولوا أن يفتحوا بقية السكان بمعتقداتهم وأفكارهم مثالنا في ذلك شخصية أرزقي في رواية نوم العادل" ولكن رغم

---

[1] الطالبة حبيب فاطمة الزهراء، ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية،ص 62.

[2] مالك حداد، سأهبك غزالة، تر: صالح القرميدي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص 02.

ذلك يتمسكون بالدين ويقوي لديهم الوازع الديني خاصة عند اللحظات الحاسمة فالعديد من الشخصيات تتلو الشهادة في اللحظات الحاسمة، مثل لحظة حيث تختم بها الشخصيات حياتها.

يقول كاتب ياسشين في روايته نجمة nedjma أستاذي العزيز، ان أسلم ورقة امتحاني.. فاليوم يوم المولد النبوي.. إن أعيادنا غير مسجلة في تقويمكم[1]... " نلاحظ أن الكاتب هنا تطرق إلى ذكر عيدا دينيا يحتفل به المسلمون ألا وهو ذكرى المولد النبوي الشريف، تحدث كاتب ياسين أيضا عن فريضة الحج في نفس الرواية، أما آسيا جبار فتطرقت إلى فريضة الصوم وأجواء رمضان في الجزائر في روايتها" القنابر الساذجة"[2]

تتجلى عناصر الثقافة الاجتماعية في حقول دلالية متفرقة باعتبار البيئة الجزائرية تزخر بالمظاهر الاجتماعية ومن المظاهر التي تجسد الثقافة الاجتماعية، نذكر في رواية" نجل الفقير" صورة تجمع شيوخ القرية في مقر" تاجماغت" والمقصود بهذه الكلمة في منطقة القبائل ساحة كبيرة تقع وسط القرية توجد فيها مقاعد عريقة يقصدها رجال وشيوخ القرية لمعالجة شؤون القرية، كما تطرح هناك وتناقش جميع المشاكل.

كما ذكر الكاتب مجموعة من المهن مثل الفلاحة والرعي بالغنم والعمل في رحى الزيتون وكذلك مهنة الحياكة الصوف أو غزل الصوف.

كما ورد بعض المعتقدات التي يؤمن بها الجزائريون مثل المشعوذون والدجالون والجن إذ يقول مولود فرعون" لإخراج الجنون من الجسم يجب التضحية يسبب وتبخير بطن المريض بورقة غار وردي مكتوبة من الوجهين تكرر هذه العملية ثلاث مرات[3].

---

[1] كاتب ياسين نجمة، تر: محمد قويعة، دار سراس للنشر، تونس، 1948، ص 232.

[2] الطالبة حيبي فاطمة الزهراء، تر: العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ص 64.

[3] مولود فرعون، نجل الفقير، ص 63

المسكن: يقول مولود فرعون" هناك بعض البناءات الواعدة التي شيدت حديثا بفضل النقود الوافدة من فرنسا، تعرض تلك الدور.. وقرميدها الأحمر وسط ذلك الخراب غير أننا نشعر أن ذلك ليس في محله بالنظر إلى هذا الإطار"[1].

ويقول أيضا:" والأمهات ربات البيوت اللواتي يتمتعن بذوق رضيع يحسن كل بيت أسس الجدران بارتفاع متر بشريط أخضر غير مستقيم يحصلن عليه من القطر المسحوق، وما فوق ذلك الخط إلى غاية السقف بصلصال أبيض لا يحصلن عليه إلا بشق الأنفس[2]، ما يلاحظ على نص مولود فرعون" الدقة وحسن انتقاء الكلمات إذ يصف هنا كيف يتم ترتيب المسكن من طرف ربات البيت.

كما تطرق" مالك حداد" في روايته إلى ذكر بعض أسماء الاماكن والمدن الجزائرية المعروفة كولاية" ورقلة" تمنراست" و" الجزائر العاصمة" بالإضافة إلى مدينة " تيمقاد" حيث يقول"(سأدخل مدينة تيمقاد من باب أدجانوس) وهناك نلاحظ أن مالك حداد أحصى في كتاباته بعض المدن الجزائرية ووصفها.

خلاصة:

كانت مسألة الهوية ولا تزال إحدى الإشكالات الكبرى التي أرقت البشر، حيث أثارت جدلا كبيرا بين العدد من النقد والدارسين، واختلفت فيها الآراء حول الهوية الجزائرية فجرت ثورة التحرير ناهيك عن اللغة المعبرة عنها.

حملت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية صوت الشعب الجزائري فهي تعبر عن آمال وآلام أصحابها وطموحهم فهي تعتبر بمثابة مرآة عاكسة للمجتمع.

---

[1] المرجع نفسه، ص 17

[2] المرجع نفسه، ص 19.

عالجت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية مواضيع اجتماعية بحتة منها الاستعمار الاضطهاد الفقر، البطالة، إضافة إلى الرواية في فترة التسعينات التي تحدثت عن الإرهاب والقتل والحشي، الاضطهاد الدمي، التي عاشها الشعب الجزائري في فترة العشرية السوداء وسميت روايتها برواية الأزمة.

تحدث كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية عن الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري بالإضافة إلى تبيان مظاهر الثقافة الجزائرية

الفصل الثاني: تجليات البعد السوسيولوجي والهوية الوطنية في الرواية

المبحث الأول: ملخص الراوية ودراسة أبعاد(الشخصيات، الزمان المكان)

- ملخص الرواية
- الشخصيات
- الزمان والمكان

المبحث الثاني: دراسة سوسيولوجية لرواية وتجليات الهوية فيها

- صورة المجتمع الجزائري في الرواية
- أهم القضايا الاجتماعية في الرواية
- مظاهر الهوية الثقافية في الرواية

ملخص الرواية:

تدور أحداث الرواية في البلاد القبائل وبالضبط في قرية تيزي هبيل مسقط رأس فورولو بطل هذه الرواية، حيث يعتبر مولده في أسرة" آل منراد" بداية للأحداث في هذه الأسرة الفقيرة التي تكسب عيشها من أعمال الحقل والفلاحة ويحكم أن في هذه الفترة كانت الجزائر مستعمرة من قبل فرنسا فقد كانت عائلة آل منراد المستقبل ولذلك فقد كان مدللا على إخوته وحتى في بعض الاحيان على بنات عمه فعمه كان يعتبره كابنه الذي لم يرزق به ولهذا فكان يلبي رغباته لكن زوجة عمه لم تكن تحبه لأنهما لم ترزق بالأولاد.

وقعت ل" فورولو" حادثة في موسم الزيتون، ذات يوم حيث أصابه " بوسعد نعامر" بسكين في جبهته بغير عمد، لكن كذبة" فورولو" أدت إلى معركة بين العائلتين " آل منراد" و آل عامر" اشتركت فيها حتى النساء وشهدها كل من كان في الساحة ولحسن الحظ أن تجميعت التي كانت بمثابة المحكمة في القرية تدخلت وحلت النزاع بين العائليتين كان" فورولو" خالتان تسكنان نفس الحي الذي يسكنه أهله، فكان يحب خالته الصغرى التي كان يناديها بنانا لرقتها وحنانها ويكره خالته الكبرى لتهورها، وكانت خالتاه تشغلان بالصوف والفخار فكانت الخالة الصغرى ؟أمهر من الكبرى، في صناعة الفخار الذي يعتبر مصدر رزقهما.

استمرت حياة" فورولو" هكذا إلى أن بلغ السادسة من عمره حيث دخل المدرسة وتغيرت العديد من الأشياء في حياته، فقد تعرف على أصحاب جدد عدى صديقه القديم آكلي، وفي السنة نفسها ماتت جدته تسعديت التي كانت الآمرة والناهية في البيت، لقد نوت عليها ولديها رمضان ولونيس، اما زوجيهما فقد بدا الفرح عليهما لأنهما التي همهما الوحيد هو تقسيم البيت فأوكلت المهمة لحليمة في قيادة الدار، لأنها كانت زوجة الولد الأكبر وأم" فورولو" وقد كان لهم النصيب لأكبر من البيت وإكوفان.

تزوجت خالة" فورولو" الصغيرة وما لبث أن تركها زوجها وسافر إلى فرنسا وهي كانت تعاني من إرهاق الحمل، وفي ليلة من الليالي الشتاء القارص أحست بألم المخاض ولم تنجح إخوتها في توليدها، فقد ماتت الخالة وتركت في نفسية " فورولو" صدمة كبيرة وأما الكبيرة فقد جنت بسبب موت أختها الصغرى وهربت من البيت ولم يعثر عليها بعد ذلك، وفي السنة التي ماتت فيها ولد" دار" الأخ الصغير ل" فورولو" فأصبح الأب رمضان يعمل بجهد أكبر حتى مرض وهم أخوه لونيس ببيع ما كان يمتلكه ليصرف على العائلة وبعد شفاءه أدرك بإفلاس العائلة فقرر أن يسافر إلى فرنسا من اجل العمل وتعويض الخسارة لكنه أصيب بحادث هناك أصابه في بطنه وبقي في المشفى مدة طويلة.

وبعد عام ونصف من رحيله رجع إلى عائلته الصغيرة ومعه منحة دائمة قدرها أربعة وسبعا فرنكا، كتعويض من الحادث" فورولو" يرى نفسه طالبا فقيرا لكنه متألقا واما والده فقد كان يقول له أن الدروس للأغنياء فقط.

وذات يوم دخل الوالد مع ابنه" فورولو" إلى البيت فوجدوا رسالة من مدير معهد بتيزي وزو يعلن فيها أن المنحة قد تم الموافقة عليها غادر " فورولو" الدار وترك عائلته في حزن كبير خاصة والدته، لكن الابن كان مطمئنا وإقامته في المسكن الذي دبره له السيد" لمبير" مع صديقه" عزيز" الذي قضى معه أربع سنوات من الدراسة وهما في نفس الغرفة وتوطدت العلاقة بينهما وتولدت صداقة لا يمكن للزمن أن يمحيها.

2- الشخصيات:

أ- الشخصيات الرئيسية:

3- **فورولو:** إنها الشخصية الرئيسية التي استحوذت على البطولة في الرواية، وهي الخيط الذي يربط بين جميع أحداث وبقية شخصياتها وهي كذلك النواة التي تجيء وتذهب منها وإليها الأحداث وتعتبر هذه الشخصية أنموذجا لأبناء الفقراء الجزائريين أيام

الاحتلال الذين لا يجدون الغذاء الكافي من أجل نمو الجسمي والعقلي والإنفعالي، ولا يجدون السكن الصحي الذي يوفر لهم الأمن والراحة، ويفتقدون أيضا إلى اللعب الفردي والجماعي والهادف،ويفتقدون إلى التعلم الذي تنمو وتزدهر فيه مشاعرهم، عاش الصبي طفولة يائسة في أسرة فقيرة، لا هم سوى تحصيل قوتها اليومي، ولا رغم من هذه الظروف الصعبة كان فورولو محبوبا ومفضلا من قبل الجميع في العائلة وكان لا يرفض له طلب وبسبب ذلك فد كان ذا شخصية مغرورة ومغترة بنفسها ومتعسفة في استعمال حقوقها وشخصية مستبدة في حق إخواتها وبنات عمها، فيقول فورولو" لقد أحسست بأهميتي في سن الخامسة وتعسفت في استعمال حقوقي وصرت في الحين طاغية بالنسبة لأصغر أخواتي"[1].

ورغم صغر سنه ومرارة العيش كان فورولو على قدر من الوعي بمعاناة عائلته في سبيل تحصيل القوت وفي سبيل تعليمه، وكان حزينا لحالة والده وعائلته، حيث حينما شفي والده من المرض وجد الديون قد تراكمت وأن فورولو في إحدى الليالي يبكي لزوجته كالطفل الصغير حالة أبيه هذه" جففت حلقه والدموع أخذت تسيل في هدوء على خديه"[2]

ويمثل فورولو رمزا لذلك الطفل البائس الذي تعاكسه الأقدار في كفاحه في سبيل التعلم حيث كان من القلائل الذين أتيح لهم مواصلة دراستهم وقد منحت عائلته في سبيل ذلك الفقر والجوع وكان والده يستدين المال من عند المرابي ليشتري له لوازمه ويسدد حقوق سكنه وكان ذلك طمعا في وغد أفضل ومستقبل زاهر.

1. **رمضان:** والد فورولو شخصية روائية ورمز من رموز الوجه البائس للثورة والكفاح في سبيل البقاء والأسرة، وهو الفلاح الخشن الذي يتكفل إعالة عائلته والصمود في وجه الفقر فهو كغيره من الفلاحين مشغول على الدوام باقتلاع الأدغال

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 34

[2] المصدر نفسه، ص 138

والأشجار واستصلاح للأراضي وغرس الأشجار وتربية بعض الحيوانات لكي يضمن للأسرة والعيال القوت الذي يقيهم مذلة الاستدانة والسؤال وهو أيضا أنموذجا للفلاح الجزائري الفقير الذي لا شغل له سوى مصلحة أبنائه والتضحية في سبيلهم، وككل مخلوق ضعيف عاجز ليس له سوى الله، يدعوه لكي يساعده في أداء واجباته إتجاه أسرته" كان غير نائم يصلي في الظلام بصوت مرتفع، يطلب من العناية الإلاهية أن ترحمه وأن تساعده وأن يبعد العقبات من طريقه وأن لا تتخلى عنه"[1]

وهو أب يردك بحكم طبيعته انه يجاهد في سبيل أبناءه مما يستثمر له الحسنات في الآخرة إنه لون آخر من ألوان الثورة والجهاد يرسمه الكاتب جهاد الأب الوطن الذي يسهر على تعليم ولده فورولو على حساب الفقر والديون.

2. **فاطمة:** أم فورولو وزوجة رمضان نجد أول ذكر لها في الرواية وصفا عاما لملامحها" إن فاطمة لم تكن قبيحة، قصيرة وضعيفة، بوجه طويل قليلا، ووجنتين بارزتين، ولكن لها نظرة جميلة تحمل أحزانا هادئة لم يكن لها أقل شيء من المسالك المتوحشة، والمفقودة لبنات منها لقد كانت بسيطة وساذجة من غير الكسكسي ولا تحسن شيئا"[2]

وتمثل فاطمة رمز البؤس الذي كانت تعيشه المرأة الجزائرية أيام الثورة، فهي بالإضافة للفقر والعسر بدءا لأخيها وأخواتها وأمها وأبيها وهي بالرغم من الآلام والجرح بقيت رمزا للأمل والعطاء حيث بقيت صامدة في وجه الفقر والمعاناة تقوم بشؤون أولادها وتعين زوجها في عمله يقول فورولو" إن إمي تشبه شجرة البلوط ضعيف النمو الذي يبيت في أطراف الطريق رغم تقلبات الجو، والماعز الذي ياكل منه بكل حرية وقدومات الرعاة التي تجتر منه بدون رحمة، أمي تعودت على مواجهة ألمها بشدة شفتيها الرقيقتين إنها صلبة بدون جهد

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 138

[2] المصدر نفسه، ص 29.

وعديمة الإحساس بالتجربة"[1]، فهي رمز للمرأة الجزائرية المكافحة والصامدة رغم الجراح والآلام.

لونيس: عم فورولو يمثل رمزا للعم الطيب المحب لابن أخيه حيث كان يهتم بفورولو ويسهر على تربيته وإعداده لمواجهة قساوة الحياة وكان يدافع عنه بشراسة مثلما كان حينما جرحه نعمر بسكين حادة حيث أقام الأرض وأقعدها ودخل في شجار مع بوسعد نعمر" وعرشه فقد كان رمزا للدفاع عن شرف عائلة منراد، وفرض احترام الناس لهم فيعد جرح ابن أخيه، ذهب يجري ويطير إلى الجماعة مسلحا بعصا والبعض الدقين من قلبه إلى رأسه يذهب للانتقام لشرفه ويفرض على الناس احترام الأسرة[2].

وكان لونيس رجلا أنيقا يحب من اللباس الجديد والنظيف وهذا ما أكسبه احترام الناس وسكان القرية، كما كان محبوبا من طرف الجدة تسعديت لأنه كان ولدها الأول غير ان لونيس كان متكاسلا أثناء العمل في المزرعة ، وغير متقن للعمل إذ يقول فورولو" قليلا ما أرى الفأس في يده أو يشد خصره بحزام عريض قد يحدث ذلك منه أحيانا غير أنه يحسن استعمال الآلة وليست له إرادة حسنة ولا يحسن عمله"[3].

وكان معروفا عند سكان القرية بالعصبية والصراحة وبكلماته الحادة التي يطلقها كالسهم دون حشمة ولا خوف

ب- الشخصيات الثانوية:

1. **حليمة:** زوجة لونيس عم فورولو رمز آخر للبؤس فهي نموذج المرأة الجزائرية التي أفسد الفقر طباعها وأخلاقها، فهي إنسانة أنانية وحسودة ومبغضة للغير، من

---

[1] المصدر نفسه، ص 112

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 45

[3] المصدر نفسه، ص 31.

ذلك إنها كانت على عداوة مع فاطمة وكانت تكره فورولو لأنها لم ترزق بصبي يصفها فورولو فيقول:

ومازلت أسمع صوت حليمة، وألاحظ نظراتها الشريرة ففهمت كراهيتها"[1]، وهي كذلك سارقة محترفة وكثيرا ما كانت تسرق حبات الزيتون المترامية في بساتين الجيران، كما كانت سببا للفتنة بين رمضان ولونيس، حيث أقدمت على سرقة مؤونة العائلة ما عجل بانفصالهما عن بعضيهما العض واقسام أملاكهما بعد المحبة الكبيرة التي كانت بينهما.

2. **الجدة تسعديت:** ترمز تسعديت إلى تلك المرأة الحكيمة والرزينة التي تقوم بتدبير شؤون البيت إخفاء المؤونة وإقسامها فورولو" جدتي كانت تشرف على المؤون وهي الوحيدة التي تقع وتقلق الإكوفات"[2]

فهي بمثابة رأس المدير في العائلة وهي سبب توحد الأسرة لانها كانت تحكم بالعدل ولذلك كانت محبوبة من طرف الجميع وكانت تشارك في الأمور كلها.

3. **خالتي:** خالة فورولو الكبيرة تمثل قمة المعاناة والانهيار العصبي فبعد موت أختها" نانا" أصيبت بالجنون، إثر نوبة حزن عميقة كانت قبل مرضها تسلي فورولو وتلعب معه، ونقص عليه الحكايات لذلك كان يحبها كثيرا.

نانا: خلة فورولو الصغيرة كانت نساء الحي يدعونها يمينة، وهي رمز للمرأة الهادئة والرزينة، والمحبوبة (الحق) في الحي، كانت تصلح ذات البين في حال مضوضوع الخصومات، من ذلك فضها للنزاعات التي تكون حاليا طرفا فيها مع أحد أبناء عمومه

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص36

[2] المصدر نفسه، ص 31

العائلة وكانت تقول لهم:" لوموا ما شئتم وعلى فاطمة ولكن اتركواها هي على حالها إنها تستوعب بعد حين"[1]

لقد كانت نانا لطيفة وصوتها يمتلك موهبة تهدئة الجيران لقد كانت" نانا" كثيرا مع المرض أثناء الحمل الذي أدى إلى هلاكها هي ورضيعها المسكينة هلاكا مأساويا.

4- الزمان والمكان:

1. الزمان- المغارقات الزمنية في الرواية:

أ- الاسترجاع:

ويقصد به:" سرد في نقطة من الرواية بعد أن يتم سرد الأحداث اللاحقة على ذلك الحدث"[2] فالسارد يرجع إلى الوراء من اجل التقاط حدث ما ومن ثم سرده في الوقت الحاضر وهذه التقنية لا تأت عبثا يستعملها السارد بقصد من كون هذه الاستنكارات تحقق " عددا من المقاصد الحكائية مثل فك الفجوات التي يخلقها السرد وراءه سواءا بإعطاء معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة أو بإطلاعنا على حاضر شخصية اختلفت مع مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد"[3] وينقسم الاسترجاع إلى استرجاع داخلي واسترجاع خارجي، أما الاسترجاع الخارجي فيأتي:" على صورة تنكر الأحداث سابقة للحدث الذي تبدأ به الرواية وأدى إلى تذكرها ظهور اشارة معينة في الحاضر نذكر بها"[4] واما

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 38

[2] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص 33

[3] حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، ص 120- 121

[4] سهام السرور، الزمن في سهيل إدريس، مجلة ثقافية فصلية العدد 87، الأردن، ص 02

الاسترجاع الداخلي فهو نفيض الاسترجاع الخارجي فهو:" الذي سيعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها"[1]

- **الاسترجاع الداخلي:** ويرد هذا النوع من الاسترجاع مثلا عندما يتحدث البطل عن طبيعة التي هاجر فيها والده إلى فرنسا والحزن الذي غمر العائلة ويستذكر من خلال ذلك موقف مر قبل إذ يقول:" كان قد ذهب مع الفجر فضل أن يذهب دون ان يسلم على أحد وبحث جبته والبرنوس إلى صديق وذهب لا سيما السترة واللباس الفرنسي الذي أعطاهما إياه ابن العم والذي رأيناهما يرفعهما الأسبوع الماضي"[2]. فحادثة الترقيع ثم ذكرها في هذا الموضع رغم أن وقوعها كان أسبوعيا قبل ذلك.

- **الاسترجاع الخارجي:** ومن مقاطع الاسترجاع الخارجي حديث البطل عن اختيار جدته لحليمة زوجة لعمه لونيس ومن خلال هذا المقطع يعود بنا الرواي إلى زمن غابر وهو زمن الحملة الفرنسية على مدغشقر يقول:" إن جدتي هي اختارت حليمة أبوها صديق قديم لجدي شارك كمرافق في الحملة الفرنسية على مدغشقر لقد عاد من هناك بمال جدتي ظننته غنيا وظننت انها ستلقى فيه سندا لأولادها لن يغفر لنفسنا هذا الخط"[3] ولعل مولود فرعون في توظيفه لتقنية الاسترجاع بمختلف أنواعه استطاع أن يأخذ بيد القارئ ويتوغل معه في الذاكرة التي استمد منها قصته

ب- **الاستباق:**

هو تقنية من تقنيات المفارقة السردية يعمد من خلالها الروائي إلى استباق احداث المستقبلية في الزمن الحاضر للسرد وغالبا ما وظف الراوي دالة على المستقبل لكونه يسرد

---

[1] لطفي زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون" دار النهار للنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص 20.

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 138.

[3] المصدر نفسه، ص 26

أحداثا لم تقع بعد، فالاستباق هو" عملية سردية تتمثل في إيراد حدث آت أو الإشارة إليه مسبقا، وهذه العملية تسمى في النقد التقليدي بسبق الأحداث فالاستباق معرفة يعرفها ويحملها المتلقي"[1]

والاستباق نادر في القص التقليدي ذلك أن الإشارة إلى أحداث المستقبلية يتنافى مع فكرة التشويق التي تكون العمود الفقري للنص الروائي التقليدي، والشكل الروائي الوحيد الذي يحضر فيه الاستباق هو شكل الترجمة الذاتية أو القصص المكتوب بضمير المتكلم، أي يحكي الراوي قصة حياته وهو يعلم ما وقع ماضيا وما سيقع مستقبلا ولأن رواية ابن الفقير كانت بمثابة السيرة الذاتية لصاحبها فقد الاستباق فيها حضور كبير ويمكن أن يتبع هذا الحضور من خلال تقسيم إلى الاستباق إلى قسمين:

- **الاستباق الداخلي:** وهو استباق يحيل مسبقا على حدث سيحكي في حينه أو هو:" استباق يقع داخل المدى الزمني المرسوم للحكي دون أن يتجاوزه"[2]، ومن نماذجه ما ورد على لسان السارد حين ملخصا وموجزا عن الهجرة الأب رمضان إلى فرنسا للعمل فيقول:" ذات صباح ترك رمضان في رعاية أخيه، غادر قريته للذهاب إلى العمل في فرنسا إنه الحل الوحيد والأمل الأخير"[3]

وبعد هذا يعود الراوي للحديث عن الليلة التي تسبق هجرة الأب فيقول:" المساء الذي السفر لا أحد من أولاده يعلم لكن الصدفة أرادته أن يستنقظ فورولو أثناء الليل.."[4] ولعل هذه الثقة من أكثر أشكال الاستباق الداخلي شيوعا حيث يلجأ الراوي إلى تقديم ملخص عن قبل أو عن حدوثه ثم يعرض إليه بتفصيل في حينه.

---

[1] يمين العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2005، ص 84.

[2] عبد العلي بو الطيب، مستويات النص الروائي، ص 157.

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 137

[4] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 137

- **الاستباق الخارجي:**

نوع من أنواع الاستباق ويعني الولوج إلى المستقبل الذي يتجاوزه الفضاء الزمني المحكي، ويعرفه الباحث عبد العالي بوطيب بأنه:" عبارة عن استشراف مستقبلي خارج الحد الزمني للمحكي الأول على مقربة من زمن السرد أو الكتابة دون أن يلتقيا طبعا" وقد ورد هذا النوع من الاستباق في مواضيع معدودة من ذلك مثلا حديث السارد عن أخته بتبني والتي كانت تكبره بسنتين، وكانت تتحمل كلماته وسخرياته وكثيرا ما تشتكي لأمها فتلقى جوابا رادعا وتطلب منها ان تشكر الله لأن لها أخا ويقول مولود فرعون عن ذلك" أختي الصغيرة التي صارت الآن أما قد تحققت أمانيها، الله قد حفظ أخاها السيئ"[1]

فمولود فرعون يسبق حادث زواج تيتي وأمومتها متجاوزا بذلك حدود الحكي، ومن أمثلة الاستباق الخارجي كذلك قول السارد:" عرفت فيما بعد عندما صرت معلما أنه بالإمكان إعطاء التلاميذ تعليما شيقا في المدارس وبالإمكان تعليم الأولاد باللعب كما توجد طرق لتغليل جهد التلاميذ"[2]، فمولود فرعون يستبق بذلك الأحداث عندما يخبر القارئ بأنه سيصير معلما ولعل الغاية من هذه الاستباق (داخلية وخارجية) هي إشارة تهم القارئ لمواصلة القراءة واكتشاف كيفية ومدى تحقيق تلك التنبؤات التي يقدمها الاستباق.

ج- الاستشراق: وهو نوع من النبوءة حيث يذكر الرائي أحداث يتوقع حدوثها في المستقبل قد تتحقق وقد لا تتحقق فالاستشراق هو:" توقع ما سيكون عليه المستقبل في الماضي وقد يجئ المستقبل بجد ذلك وقعت كل ما كان متوقعا وقد يكون غير ذلك"[3]، وإذا كان الاستقبال يتحقق حتما فإن الاستشراق غير ملزم التحقق ومن نماذج الاستشراق قولة مولود فرعون:"

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 35

[2] المصدر نفسه، ص 35

[3] الهام علول، بين الخطاب الروائي عند واسيني الأعرج من خلال رواياته الأخيرة لضمير التائب، سيدة المقام، ذاكرة الماء، رسالة ماجستير

بينما الأيام تمضي المسابقة لا تحترق ومقلقة، فورولو رغم عمله يشعر بإحباط كان يرى نفسه في شهر جوان عائدا إلى القرية بكتبه وأوراقه البالية تستقبله أمه باكية ولكنها رحيمة كالمعتاد وأبوه خائب بائس، كان يتخل احتقار كلا الآخرين"[1]

غير أن المستقبل قد يأتي عكس ما يتوقعه البطل ذلك أنه اجتاز الاختيار بنجاح وسلمية.

2. **المكان:** يلعب المكان دورا حيويا في الرواية العربية المعاصرة فالغرم منه، وبالإضافة إلى اختلاف الأمكنة من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيها تخضع في تشكيلاتها إلى مقايس آخر، مرتبطا لاتساع والضيق أو الانفتاح والانغلاق.

فالمنزل ليس هو الميدان والزنزانة ليست مفتوحة دائما على العالم الخارجي فغلاف الغرفة فهي مفتوحة على المنزل وعلى الشراع.

ولقد انتقينا في هذه الدراسة الأماكن الرئيسية البارزة ضمن ثنائية (الأماكن المفتوحة والأماكن المغلوقة) المتمثلة في الأحياء والمنزل الغرفة، القرية، المدرسة، المقهى، المسجد.

وكل هذه الأمكنة تحتوي على حكاية معممة.

أ- **الأماكن المفتوحة:** هي تلك الأماكن المتاحة للجميع لا تحدها حواجز وتسمح للشخصية بالتطور والحرية كالشوارع الحدائق العامة وما شابهها في السرد القصصي[2].

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 180

[2] مهدي عبيد جماليات المكان، في ثلاثية مناهية، الهيئة العامة السورية 2011، ص44.

تكتسب الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية إذ أنها تساعد على الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها[1].

ومن خلال ما تمد به الرواية من التفاعلات وعلاقات نشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء"[2] حيث تقدم هذه الأماكن بالترتيب وبناءا على درجة انفتاحها من جهة وكثافة حضورها ومن نماذجها في الرواية نذكر:

1. **القرية:** هي ذلك الحيز المكاني الخصب الذي يؤثر في الإنسان ونشده الأرض وتتميز جغرافيا بامتداد حقولها وسياقة أبنيتها التي تعكس حياة أصحابها[3].

تعتبر القرية من أهم الأماكن المحورية التي ركز عليها الروائي فأحداث الرواية تدور فيها وحولها، فقرية تيزي هبيل المكان المرجعي الذي اختاره مولود فرعون فهي قرية ريفية منتصبة فوق ربوة مرتفعة وتتكون من ثلاثة أحياء، معتمدا فيها على تقنية الوصف الدقيق وأحيانا المجهرية ففي تصويره لها ذكر لنا عدد سكانها والأصول التي ينحدرون منها والملامح العامة لتلك القرية وكمثال على ذلك تيزي هي عبارة عن تجمع سكاني من ألف نسمة، تنتزع دورها انتزاعا الواحدة تلو الأخرى على ربوة ضخمة لأنها فقرات وحشرا من وحوش ما قبل التاريخ مئتا مترا طولا وشارع رئيسي هو عبارة عن مقطع من نهج يربط عددا من القرى ويضفي إلى طريق ميلطة وبالتالي يقود إلى المدينة[4].

القرية باعتبارها فضاءا إمكانيا واسعا تحتوي إلى البيوت والمنازل والشوارع والأحياء كان منزل والذي يقع أقصى شمال القرية في الحي الأسفل ونحن من قرية آيت مزوز[5].

---

[1] حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 79

[2] فهد حسن ، المكان في الرواية البحرية، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين،2003، ص 80

[3] حنان موسى حمودة، ص 29.

[4] مولد فرعون، ابن الفقير، ص 24.

[5] نفس المصدر، ص 20.

قدم لنا الراوي هذه القرية في بداية بوصفها إطارا جغرافيا ثم بعد ذلك أصبحت عنصر مهما من عناصر تطور الأحداث ووقوعها في محاور الرواية، فهذه الأخيرة جزءا من الوطن بكل مقوماتها الطبيعية والمادية، تشمل دلالة المقاومة والصمود والأمانة خاصة مع الظروف القاسية التي كان يعيشها السكان الذين كانت الزراعة والرعي سبيلهم الوحيد في تحصيل لقمة العيش.

2. **المدنية:** المدنية مكان جغرافيا واسعا فهي من الأماكن المفتوحة والتي تضم مجموعة من الأماكن الجزئية: المقهى، الساحات، الشوارع، والأحياء.. المدنية تعتبر الوسط الذي يتم فيه العبور من الحاضر إلى الماضي كما أنها تجمع جميع فئات المجتمع من شباب وكهول وأطفال وتحدد لنا ميزة العلاقات الأسرية والصداقة.

المدنية في هذه الرواية ضمت شخصيات وأحداث مهمة فهي تجمع فئات المجتمع المختلفة وتحدد بينهم علاقات اجتماعية ومثال ذلك في الرواية نحن في بئري نعرف بعضنا بعض ونغار من بعضنا البعض[1].

(المدنية في هذه الرواية ضمت شخصيات وأحداث مهمة فهي تجمع فئات المجتمع المختلفة ونحدد بينهم علاقات اجتماعية).

المدنية في هذه الرواية كانت ذلك المكان الذي استطاع فيه فورولو من تغيير حياته من الفقر إلى مستوى اجتماعي أفضل وفيها تلقى تعليمه مثال ذلك يظهر في قول السارد:" جرى الامتحان في مدينة عين الحمام على بعد عشرين علم من قريته وهي مدنية بأتم معنى الكلمة يقطنها الكثير من الفرنسيين[2].

3. الشوارع والأحياء:

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 110

[2] فيصل دراج، نظرية الرواية العربية، المركز الثقافي العربي بيروت، ط2، 2003، ص 288

الشوارع والأحياء أمكنة مفتوحة يلتقي فيها عامة الناس فهي الامتداد المستقيم الواسع الذي يصل أطراف المحلية ببعضها البعض وهي حيز المكاني التي تلتقي فيه حشود بشرية[1].

ويعرفها حسن يحياوي أيضا في قوله:"من الواضح أن الأحياء والشوارع تعتبر أماكن الانتقال ومرور فهي تشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحا لغدوها وروادها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها[2].

ولقد كانت الشوارع والأحياء حضورا بارزا في الرواية العربية عموما والرواية التي بين أيدينا بشكل خاص حيث جاءت هذه الأخيرة حافلة بها، واستهل مولود فرعون ذلك في قوله:" وشارع رئيسي هو عبارة عن مقطع من نهج يربط عددا من القرى إلى طريق ميلطة، وبالتالي يقود إلى المدن"[3] يتخطى الشارع في هذه الرواية باهتمام الكاتب فقد جعل منه عتبة مهمة لها، خاصة وأنه ارتبط بذاكرة البطل وما تحتويه من أحداث في طفولته ويظهر ذلك في قوله:" وعلاوة على ما سبق، كانت مؤهلا للزيارة، وكنت جبانا جدا عندما أغار بالخروج بعيدا من شارعنا لا تزال صديقي آكلي إلى اليوم، منخرة الصوان البيضاء المائلة في نهاية الشارع.

1. **تاجماغث:** تاجماغث مكان مقدس في المناطق القبائلية فهي بمثابة هيئة تنفيذية تهتم بشؤون القرية وملجأ يلجأ إليه سكان القرية لحل مشاكلهم ويعقد فيها اجتماعات في الساحة العمومية للقرية من أجل الحوار ومثال من هذا: إن تاجماغث ملجأ مضمون وموجود باستمرار وبدون مقابل[4].

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 10

[2] حسن بحراوي، بداية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، ص 288.

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 13

[4] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 19

قرية تيزي تحتوي على ثلاثة أحياء سكنية وبالتالي تحتوي أيضا على ثلاثة تجماغث والتي هي عبارة عن بلاطات عريضة طويلة مصنوعة من الحجر.

هذا المكان يفضله سكان القرية فيها الفلاحين الصغار، الكبار العدو، الصديق..الخ يقضون فيها أوقات فراغهم باعتبارها فضاءهم الوحيد للترويح عن النفس في أوقات فراغهم، وجاء على لسان السارد: صفائح عريضة من الكلس بينهما بناء معوج بارتفاع خمسين سنتيمترا وقبالتها أركان المنازل ذلك بشكل مقاعد تاجماغث وهي ينظمن الرجال والأطفال للجلوس إليها، ومن محاسن ...أن وهي مقعد منها سقف الرخام وهو الأكثر طلبا بسبب انتعاشه صيفا واحتجابه عن الرياح شتاءا[1].

لكن القرية مشكلة من ثلاثة أحياء فإنها تحتوي على ثلاثة تاجماغث أيضا لكل تاجماغث مقاعدها الحجرية وصفائحها اللمعة نجد حينما اتجهنا نفس العية" الدامة" محضورة على الصفائح والتي تلعبها الحصى لكن ما من أحد يزعم أن تاجماغث الأخرى تضاهي ساحة الموسيقيين.[2]

ومن هنا شيخ مولود فرعون في روايته هذه جعل من تاجماغث مكان وصل جو حركة وحيوية.

5- **الحقل** : من الأماكن المنفتحة التي وردت أيضا في هذه الرواية كانت الحقول أز ما يملك السكان قرية تيزي هبيل بل كانت المصدر الوحيد الذي يسترزق منه السكان لقمتهم للعيش، فهو مكان عمل والد فورولو ومثال ذلك وكان والدي على عتبة الباب يفك رباط حذائه وقد وصل من الحقل للتو[3]، وأيضا بالعودة إلى آل منراد فإن الوالد رمضان يوشك بالكاد أن يلبي حاجيات منزله الصغير من الكسكي اليومي

---

[1] نفس المصدر، ص 15

[2] نفس المصدر ، ص 15

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 59

أثناء الانتهاء من أعمال الحقل الجزئية كالفقرات الفاصلة بين الحصاد وجمع آلياتين أو بين الحصاد والدرس[1].

5. **المدرسة:** وردت المدرسة في الرواية كعنصر مهم من ذاكرة فورولو الذي كان يجول بذكرياته عبر كل الأمكنة التي تمثل بالنسبة له المتناقضات الصعب فهمها في حياته، مثال ذلك: بالفعل كنت في سنتي الثانية وما زلت دائما في نفس القسم إذ هي الرؤية فاجأنني كثيرا يبدوا وان المعلم تكلم بشأني إلى والدي"[2]

المدرسة جعلت إبن آمنراد يتحدى ظروفه القاسية والصبة ونحظى كل الحواجز من خلالها تجاوزها واستطلاع تجاوز حدود القرية تيزي والعاصمة.

فالمدرسة مكنته مكانة مهمة أكسبته احترام الناس كفرد مثقف في المجتمع يقول السارد:كاد فورولو يهب إلى المدرسة وهو يحمل الشهادة وهو يذهب للسنة الأخيرة كانت شهادته تمنحه الطمأنينة رغم الحالة المادية لأهله كانت أصعب من أي وقت وفي القرية لم يعودوا يعتبرونه أبدا طفلا كان أبوه في كل مناسبة يطلب رأيه والأعمام وأبناءهم.

6. **المقهى:** يمثل المقهى بؤرة اجتماعية لها دلالتها الخاصة لها مكانة بارزة في حياة كاملة الناس.

يقول حسن بحراوي: تقوم المقهى كمكان انتقال خصوص تأطير لحظات العطلة والممارسة المشبوهة التي فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة فهناك دائما سبب ظاهر وخفي يقضي بوجود الشخصية ضمن مقهى من[3] المقهى من الأمكنة المفتوحة الواردة في الرواية ولقد ذكر هذا المسمى فيها في قول

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 66

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 59

[3] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفتاة الزمن، الشخصية، ص 91.

السارد: واما المقهى الموركسي فهو يقع خارج القرية ومن يريد ابتغاءه عليه أن يبحث بعيدا عن العمران"[1].

المقهى يقصدها الناس للتسامر ولتبادل أطراف الحديث تنتقل إليه الشخصيات الروائية التي تجد نفسها دائما على هامش الحياة أو تعاني من صعوبات مختلفة والرواية لم تقدم وصفا دقيقا لمكونات القهوة المقهى يقدر ما ركزت على هؤلاء الناس المتواجدين فيها ومثال عن ذلك: إما المقهى فلا يأمه إلا الشباب والكسلاء[2].

كما استخدمت الرواية المقهى كمكان يحمل صورة سلبية ولقد جاء لسان البطل في قوله: وسرعان ما أصبحت لا أخاف من الخروج وحيدا والذهاب إلى تاجماغث وحتى صار الشارف المقهى الذي يتردد عليه الأوغاد ليجمع أعقاب السجائر[3]

ب- **الأماكن المغلقة:** تودي الأمكنة المغلقة دورا محوراي في الرواية لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل الشخصية الروائية، أي انغلاق هذه الأخيرة في مكان واحد وعدم قدرتها على التقاطع مع العلم الخارجي إن هذه الأمكنة الملجأ الوحيد المليء بالأفكار والذكريات والمال حتى الخوف والتوجس[4].

حيث نعتبر الفضاءات المفتوحة امتداد للفضاء الكوني فحياة الإنسان ترتبط بالفضاءات التي تقيم فيها فالبيت مأوى للإنسان، المدرسة مكان لتعلمه، المساجد لعبادته.. ومن ثم تشكلت الفضاءات المغلقة مثال الخير من الفن الروائي، فنجد السارد قد اعتمد على تقنية

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 15

[2] المصدر نفسه، ص 19

[3] المصدر نفسه، ص 32

[4] حفيظة أحمد بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسفة منشورات مركز أوغاريت الثقافية رام الله، فلسطين، ط1، 2007، ص 134

الوصف الدقيق أو أحيانا المجهرية في وصف أماكن القرية المختلفة وتكاد لا نجد فصل من فوصل الرواية يخلوا من هذه اللقطات ويمكن تبيين الأماكن المغلقة في الرواية فيما يلي:

المنزل: يعتبر البيت هو المتعارف عليه المسكن، أو المأوى الذي تأوي إليه جميع المخلوقات طلبا للراحة والاستقرار، فهو البنية الأساسية للعمران البشري المتمثل في مجموع القرى ومجموع المدن ولان البيت ليس مجرد مكان نحيا أو نسكن فيه وإنما هو جزء من كياننا ووجودنا الإنساني[1]، فإن باشلار جعل للبيت جسدا وروحا واعتبروه عالم الإنسان الأول الذي يسمح له أن يحلم بهدوء، رغم تعدد السيمات التي حظي البيت في العمال الروائية، كالمنزل، الدار، فإن هذه التسميات جميعها تؤكد دلالة واحدة مفادها، أن البيت مكان لا بد منه لضمان استقرار الرفد ولإثبات وجوده فهو خلية يجتمع فيها وداخلها أفراد العائلة حيث يمارسون بشكل تلقائي علاقاتهم الإنسانية[2].

ونحن أثناء قراءتنا للرواية نلاحظ تكرار هذا المسمى حيث لجأ مولود فرعون في ذكره لمسكن العائلة إلى وصف حيث وصف البيوت وصف للإنسان نفسه حيث يقول الكاتب: جميع المساكن مشيدة بقواب الصخرة المتبلورة الصلصال المخلوط بالتين أما السقوف فهي من الأجر المجفوف الموضوع على أسرة من القصب، وتكون الأرضية مدكوكة دكا غزيرا..[3] مثل المنزل في هذه الرواية هوية الإنسان كما جسدت تلك العلاقات التعاونية بين أفراد الأسرة لمغالبة الحياة وتحصيل العيش وفي هذا القول السارد: والأمهات ربات البيوت يتمتعن بذوق راق يخصص كل بيت بنفس الكيفية: يخصص أسس الجدران بارتفاع متر وينهيه بشريط أخضر غير مستقيم يحصلن عليه بالفطر المسحوق... إن تهيئة البيوت من الداخل تعود لربات البيوت فيه شقاؤهن وكبريائهن.

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 17-18

[2] المصدر نفسه، ص 18

[3] المصدر نفسه، ص 18

كما يمثل أيضا رمزا من الرموز الثقافية للمنطقة التي تتمثل في المحافظة فيقول: وفي ركن من الدويرة تيبوأ أكوف مخزونا المكان، لم تفلح خالتي أبدا في ملئه لسعته، السقف منخفضا، الباب بمدوار واحد، ولا تزيد سعة الفناء على قامة رجل، طوله بطول واجهة الدار، عندما تكون بداخلها تشبه طائر النمنمة في عشه المستدير الأظلم غير أننا نشعر بحرارة وسكينة حميمة خصبة[1].

المنزل بؤرة ومركز الذكريات التي يعيشها الإنسان سواء كانت جميلة نتعطش لاسترجاعها أم سيئة نحاول الفرار منها، ففي هذه الرواية خصيصا بطلها يستذكر منزل خالته التي كانت تعلمه كيف يواجه المصاعب الحياة متحسرا على الحالة التي وصلت إليها إصابتها بمرض عقلي فيقول: مر عنا في منزلنا ويا للهول! كانت الأشياء قد بعثرت على الأرض شذر مذر، الرفوف فارغة والأغطية مخرجة ومع وميض الصباح الباهت شاهدنا في كل زوايا المنزل أكواما من الملابس المكدسة والأواني[2].

وفي الأخير ما يمكننا قوله: أن السراد في هذه الرواية لم يسجد المنزل كمكان يحمل فقط لحظات الأمان والدفء العائلي بل كمكان يحمل أيضا لحظات الخوف والألم والحزن خاصة مع الظروف الصعبة والقاسية التي كان يعيشها بطل الرواية وعائلته.

الغرفة: الغرفة من الأماكن الشخصية التي تحتوي مستلزمات أصحابها (أغراضهم أفكارهم وكل ما يتعلق بهم) فهي من الأماكن المغلقة التي مهما جرى الحديث عنها ومهما قيل في خصائصها وتركيبها لا نستطيع الكشف عن بنيتها الجمالية، وفي هذا الصدد يقول ياسين ناصر هي بقع فوق الأرض، تحجب النور وتصنعه، وتجعل لباحثتها الصغيرة إمكانية تعويضية عن الفضاء السمح الأقل المتجدد واستطاع الإنسان بخبرته وحاجاته وتعدد أزمنته وتعاقبها أن يوطن نفسه السكن فيه، فالغرف تكونها الفكري حاجات لا بديل لها، تصبح

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 45

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 88

غطاء للإنسان يدخلها فيخلع من ملابسه ويدخلها ليرتدي جزئا آخر وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر، وإذا إطمأن تماسكها ويبدو كما لو أنه خرج تحت غطاء خاص[1].

ولقد كان في هذه الرواية التي بين أيدينا حضورا لهذا المكان حيث كانت الغرفة ترمز إلى طبيعة الحياة التي يعيشها فورولو وعائلته ومثال ذلك في الرواية: كل غرفة من الغرف الكبيرة تحتوي على طرف سفلي مرصوص يستعمل كإسطبل ومربط للحيوانات ومكان لتخزين الحطب وهي معزولة عن الطرف العلوي[2]

بركائز متينة وعليها يقع الدور العلوي، البيوت هي الوطن الصغير للعائلة الغرف جزئا لا يتجزأ منها تضم أصحابها بأسرارهم طبيعة علاقات العائلية بينهم ونمط معيشتهم حيث يقول بطل الرواية العلوية ميدانها الوحيد فهي الوحيدة التي لها حق الدخول تتسلق إليها من اجل أن تأتي بنصيب من التين المجفف، أو غربال من القمح او إناء من الزيت، أو قطعة من الشحم.

المسجد: لكل حضارة أو ثقافة رمز ديني يميزها عن باقي الحضارات والثقافات الأخرى ويتم من خلاله ممارسة طقوس العبادة، والمسجد من بين هذه الرموز الدينية الذي يرمز الثقافة الإسلامية، المسجد من الأماكن المنغلقة أيضا حيث يوظف في النصوص الروائية على أنه بنية ذات أثر إيجابي في توجيه السلوك وتهذيبه[3].

يعتبر مكان للعبادة والصلاة وملاذ كل شخص يطلب الراحة والسكينة والعلم، يقام فيه الصلوات وتلقين المسلمين القرآن الكريم وكل هذا من نيل رضا الله عز وجل ولقد ذكر هذا الأخير في الرواية في مواضيع قليلة كما أن القرية مسجدان أيضا غير إن المسجدين ليس

---

[1] ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 94

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 18

[3] محمد إبراهيم تجليات المكان في السرد الحكائي فضلات للنشر والتوزيع، د، ن،ط، 2009، ص 21

لهما أهمية تاجماغث مظهرهما الخارجي يشبه بقية المنازل المجاورة أما من الداخل فإن أرضيتهما من الإسمنت وجدرانهما مدهونة بالكلس الأبيض وهما خاويان ومثالان للباسطة[1]

الغلاف:

يعتبر الغلاف عتبة من عتبات النص الأدبي" فمن خلالها السيميائي إلى أغوار النص الرمزي الدلالي، ويخل النص الموازي" para texte والنص الموازي عند جبرا رجنيت G. genette " هو ما يصنع به النص نفسه كتابا، ويقترح ذاته بهذه الصفة على قرائه، وعموما، على الجمهور أي ما يحيط بالكاتب من سياج أولى وعقبات بصرية ولغوية" ويحلله(جنيت) إلى النص الفوقي، ويشمل النص المحيط كل ما يتعلق بالشكل الخارجي للكاتب كالصورة المصاحبة للغلاف"[2].

فالغلاف هو الجزء الخارجي للرواية فهو يعكس في معظم الأحيان المضمون العام للرواية بما تحتويه من رموز ودلالات ولطالما كان الغلاف عنصر جذب القارئ لاقتناء الكتاب وشرائه وعليه فالأشكال التي تظهر على الغلاف فقصدية" تعمل على مضاعفة دلالة الخطاب وتدعيمه وترجمته"[3]

ويعد تأمل واجهة الغلاف في رواية الفقير المطبوعة عند دار تلانقيت للنشر نجد فيها: اسم المؤلف، العنوان، اسم المترجم، الصورة المرسومة(اللوحة التشكيلية).

دار النشر بالإضافة إلى الألوان وهي أهم العناصر التي تدخل في بناء الصورة الخارجية للرواية تظهر الصورة في الغلاف الأمامي منظرا عاما للقرية جبلية صغيرة تحيط بها أشجار

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 15

[2] بلقاسم دفة: التحليل السيميائي للبنى السردية رواية " حمامة سلام" لنجيب الكيلاني، أنموذجا. الملتقى الوطني الثاني المنشورات الجامعية ،بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص 37

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 56

وجبال وفوق صخرة كبيرة خارج تلك القرية يجلس طفل صغير مرث الثياب، يضع قبعة حمراء وفي يده وحجره حبات تين يابس، ويظهر عنوان الرواية بكتابة عريضة باللون الأحمر في أعلى الغلاف، ويعلوه مباشرة اسم المؤلف باللون الأبيض، وتحت عنوان مباشرة بالأصفر نجد اسم المترجم، وفي أسفل الغلاف نجد شعارا دار تلاتنقيت واسمها وعلى يسارها بكاتبة عمومية مكتوب اسم رايم الصورة العامة للغلاف.

- دلالة العنوان:

يعتبر العنوان أول عتبة يخطوها القارئ نحو النص، فهو بمثابة بوابة العبور التي تثير فضوله للغوص في الكتاب وأغواره، فالعنوان يحمل الكثير من الدلالات والإيحاءات تجذب القارئ إلى استكشاف أحداث الرواية وتفاصيلها ويعين العنوان على فهم المضمون العام للرواية وذلك لما توفره العناوين من إمكانية إضافية لفهم النص الأدبي[1].

والعنوان في رواية ابن الفقير يكشف عن المحتوى العام للنص ومعالمه الأساسية، يحس إلقاء للعنوان انه علامة سيميائية مفعمة بالرموز والدلالات وتبدأ آلية التأويل عنده بالاشتغال، تحمل هذه الرواية عنوانا يعبر عن الظروف المعيشية القاسية في بلاد القبائل بالإضافة إلى الفقر و المعانات التي يعيشها الفرد الجزائري في القرية"[2]، تيزي" فابن الفقير ولد بريء يعاني هو وأسرته كل أشكال الفقر والحرمان، فهو لا يجد السكن المريح ولا الأكل الصحي الذي يساهم في نموه الجسمي والعقلي، ولا يجد التعليم السليم، الذي ينمي عقله ومعارفه، ولا يستفيد من العلاج إذا مرض... وغير ذلك من ألوان المعانات التي ستتصور القارئ لهذا العنوان أنه ابن متخبط فيها هو وأسرته وبذلك سيشكل عنده صور ومعاني قبلية عن المحتوى العام للرواية.

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 221

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي المركزي الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991، ص58

- **البياض:** ويعني تلك المساحات الخالية في الصفحات الرواية ما كان منها بين السطور أو الفقرات أو الفصول أو حتى بين كلمات وجمل الفقرة الواحدة يأتي ليعلن عادة عند نهاية فصل او نقطة محددة في الزمان والمكان، كما يمكن له أن يتخلل الكتابة ذاتها للتعبير عن أشياء محذوفة أو مسكوت عنها داخل الأسطر[1].

وفي رواية ابن الفقير في ترجمتها العربية المنشورة عن دار تلانتقيت للنشر يتجلى البياض في الصفحة رقم اثنا عشر التي تسبق الانتقال المعنون ب (الأسرة) حيث نجد صفحة بيضاء تدل على انتقال زمني، كما الرجوع بالقارئ للخلف، في محاولة استرجاع احداث وذكريات من الزمن الماضي، كما يتجلى البياض في الرواية من خلال النقاط المتتابعة في قول الكاتب: ضنوا أنه بإمكانه أن ينجح وأن يرفع من مستوى عائلته منراد والآن.."[2]وهذه النقاط تعبر عن المسكوت عنه داخل الرواية وتترك للقارئ يقدم قرائته وتأويلاته لهذه النقاط بما يخدم المعنى العام للرواية.

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 177

[2]

المبحث الثاني: دراسة سيسيولوجية لرواية وتجليات الهوية فيها

1- صورة المجتمع الجزائري في رواية" ابن الفقير"

لقد خلف ابن الاستعمار الفرنسي في الجزائر واقعا اجتماعيا مزريا ومأساويا بكل ما تحمله الكلمة من معنى حيث عمل على إبقاء الجماهير المستمرة في حالة دائمة من الانحطاط في كل المستويات.

فهذا كان حال جميع المجتمعات الجزائرية إلا أننا سنخص بالذكر المجتمع القبائلي وما عانه من بؤس و شقاء وفقر وجهل وذلك نتيجة الهيمنة الاستعمارية وكثرة المشاكل الاجتماعية.

فمن خلال رواية ابن الفقير " لمولود فرعون" يتبين لنا أن المجتمع القبائلي كغيره من المجتمعات يعاني من العديد من المظاهر الاجتماعية ومن بين هذه المظاهر الصراع الطبقي الموجود في المجتمع القبائلي الذي كان حاضرا في بدايات الرواية فتيزي وزو تظهر عليها الطبقية بكثرة حيث أن هناك نوعان من الأحياء الحي الأعلى يعيش فيه أناس أغنياء وميسوري الحال، اما الحي الأسفل فهي لأناس فقراء وبسطاء وهذا ما أشار إليه الكاتب في قوله" إن الحي الأسفل على سبيل المثال منحدر من موزر، وكان لموزور خمسة أبناء ذكورا أطلقوا أسماءهم على كل العائلات الخمسة للقرية ولهذا السبب فإن تلك، القروية تتضمن آل آيت رابح وآيت سليمان وآيت موسى، وآيت العربي وآيت قاسي. أما آل باشارين، فإن حبهم ليس سوى لاجئ قادم من جرجة لذلك فهم يزهدون في أصولها في قرارة بالدناءة، حاليا ما من احد ينطر ذلك ولذلك يعدون أنفسهم أيضا منحنين من آل مزور أصلا، على الرغم من انه في بعض المناسبات الخطيرة يحدث أن يشحنوا لهم ذاكرتهم"[1]

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 18

حيث يتبن لنا أن هناك فرق واضح بين سكان الحي الأعلى وسكان الحي الأسفل فكان الحي الأسفل أناس معروفين ببساطتهم وفقرهم وهي الطبقة التي تنتمي إليها الكاتب حيث أشار في قوله:" كان منزل والدي يقع في أقصى شمال القرية في الحي الأسفل منها[1]"

فهم سكان يغلب عليهم الفقر والإملاق على غرار سكان الحي الأعلى الذي كلهم مترفين أغنياء وقد أشار الكاتب إلى ذلك في قوله:" أصل حليمة زوجة عمي من الحي الاعلى... كان والد حليمة... جنديا في فيلق مدغشقر عاد منها بنصيب من المال"[2].

كما يصور لنا الكاتب بيوت الأثرياء فهي بيوت تترجم رغد عيش أصحابها وحياتهم المرهفة حيث يتشكل منزل الثري من " قطعتين متقابلتين قد تبلغان أني عشر ذراعا عرض على أربع عشر طولا منهما غرفة أو غرفتين صغيرتين للولد البكر أو الغريب عابر السبيل ، جميع المساكن مشيدة بقوالب الصخر المتبلور والصلصال المخلوط بالتين، أما السقوف فهي من الآجر المجوف الموضوع على أسرة من القصب، وتكون الأرضية مدكوكة دكا غزير أو مغطاة بطبقة من الكلس الملمس الأصفر الذي يوحي بانطباع النظافة والرشاقة..ن ويحسب بحبوحة العائلة فإن الطلاء يجدد دوريا سنويا، أو كل شهرين، أو ثلاثة أشهر"[3]

أما العائلات الفقرية فكانت بيوتها مختلفة تماما عن البيوت الأغنياء فشكلها يوحي بمدى بؤس وشقاء أصحابها نظرا لضيقها وشكلها حيث أن يكتفي في مسكنة بقطعة واحدة ويقسم الفناء الصغير مع الجيران المعدمين أمثالهم ويقسم تاجماغت مع الجميع"[4].

كما قدم لنا مولود فرعون صورة إيجابية من صور المجتمع القبائلي وهي قيمة الأسرة في حياة الأفراد فقد كانت معلما بارزا قامت عليه الرواية باعتبارها الخلية الأساس لبناء

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 23

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 25

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 19-20

[4] مولود فرعون، ابن الفقير، ص

المجتمعات وهي:" الحضن الدافئ لنمو الفرج واستقراره، يأخذ منها الطمأنينة والأمن، ويطبع بتقاليدها وعاداتها ويتأثر بمستوى معيشتها وبمستوى ثقافتها ووعيها أيضا، وعلى هذا الأساس نجد الأسرة دائمة الحضور في الأعمال الأدبية"[1]

إن الكاتب وهو يسرد روايته يستأنف حديث استرجاعي يرسم صورة عن طفولته وبالتالي ينقل صورة عن أسرته التي نشأ فيها، وقد تكون هذه المرحلة الوحيدة من الحكي التي يكون حرصا على الوفاء لواقع طفولته وأسرته، ونقل حالة العوز والفقر التي كان يعيشها.

ويكفي دليلا على الحضور الفاعل للأسرة في الرواية وثقل هذه الخلية الاجتماعية في نفسية مولود فرعون" أن المعاناة التي عاشها وأسرته ومرارة الأيام التي يطبعها الفقر والمرض والشقاء ونص هذا القول: " سوف نعمل لغيرنا حتى تبلغ الشيخوخة وعندما يحين ساعتنا سنموت دون جلة، وسنقول في العالم الآخر أننا تأملنا وكبرنا وعشنا سنوات من المرارة الطويلة وسيشملنا الله برحمته..."[2]

ومن مشاهد التعاون الذي عرفته الأسرة الجزائرية، رغم ظروف الحياة الصعبة، ما ذكره الكاتب عن أسرته، التي كفلت خالته رغم مرضها وجنونها" إن خالتي أصبحت تثير القرف والاشمئزاز كانت تخشى الماء كأنه النار، ولا تريد أن يسرح أحد شعرها، وتقتضي حاجاتها الطبيعية في مكانها.. كانت تزداد سمنا ونضارة وصوتها يصبح جهيرا... أما مي فكانت بعكس ذلك تزداد فني ويجف عودها..."[3]

---

[1] ينظر: عايدة أديب باهية، تطور الأدب القصصي الجزائري، (1925-1967) تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، د،ت، ص 99

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 07

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 103-104

وكذا عادة الوتيرة تلك العادة الحميدة المنتشرة في البلاد القبائل، وهي تلخص مبدأ العون ومد يد المساعدة الأقارب والجيران من أجل انجاز أعمال شاقة وهي ممارسة تطوعية مجانية تقوي أواصر المحبة بين الأفراد"[1]

كما تحدث مولد فرعون" عن بعض التصرفات السلبية في الأسرالقبائلية مثل أنهم كانوا يجبرونه على الشراك مع أتداره والانتصار عليهم" ... فعندما كانت الغلبة في إحدى تلك المعارك المبايعة من تصدي، كان الجميع بهذا توخى أما إذا دارت على الدوائر فكانوا يمطرونني بوابل من سخرياتهم"[2].

إذا أمعنا النظر ونحن نقرأ فطولا من الرواية ابن الفقير" نلاحظ انه فيلا كل مرة يتطرق فيه الكاتب إلى وصف الأسرة يصف معها ظاهرة اجتماعية متفشية في مجتمعها، وهي ظاهرة الفقر التي تتخذ أشكالا كثيرة لدى جميع الأسر، فلا نكاد نجد أسرة على أحسن حال من غيرها إذ يعاني الشعب كله تقريبا من البؤس بسبب الاستعمار الفرنسي وسياسته الجائرة وقد كتب فرعون" إن الشعب القبائل لم يكن غارقا في الوفرة"[3]، حيث كان عدد العائلات الفقيرة يفوق عدد العائلات الغنية، والرجل الغني لم يكن إقطاعيا أو رأسميا كبيرا وإنما هو إنسان يتناول ثلاث وحبات طعام في اليوم.

" ولم يكن خفيا أن مشكلة الفقر من أهم المشاكل الاجتماعية وأخطرها أثرا في تأخر الأمم وانحطاطها"[4]، بمعنى أن ظاهرة الفقر في وسط الشعوب أدت إلى ضعفها وعدم تقدمها وبالتالي تنتشر الأمية بشكل كبير في المجتمعات ونجد ان القرية التي نشأ فيها منراد كانت فقيرة جدا لدرجة أن كل أبنائها لم يكونوا متعلمين، وكان والده يردك تمام الإدراك بأن ابنه لن يصير متعلما مهما فعل وأن مصيره مثل كل ولد من أبناء القرية، فيقول:" كان والده يدرك

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 107

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 33

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 40

[4] عبد الهادي الفضلي، مشكلة الفقر، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، ص 3، 1988، ص 122.

تمام الإدراك أن ابنه لن يصير متعلما مهما فعل وأن مصيره مثل كل الأولاد من ؟أبناء القرية"[1].

كما أنه كان كل سكان القرية يعيشون وضعية واحدة وهي عيشة الفقر، لكن ذلك لم يشكل عبئا عليهم لأنهم كانوا يعيشون عيشة سعيدة مليئة بالفرح عكس الأغنياء الذي يجد أنهم يملكون كل شيء لكنهم ليسوا هنيئين في حياتهم ويتجلى في قوله:" يعيش العائلات الفقيرة في القرية عيشة الأغنياء عندما يتيسر لها ذلك"[2].

وليس غريبا أن يتبع الكاتب وصف الأسرة دائما بموضوع حاجاتها وعوزها ذلك لأن الفترة التي عاشتها الجزائر قبل الحرب العالمية الثانية تميزت بانتشار الفقر وسوء التغذية، وقد تفاقم الوضع وقت اندلاع الحرب، إذا كان الشعب يعيش على حافة المجاعة"[3].

كما نجد أن الحياة الريفية في الجزائر خاصة في منطقة القبائل تمام الاختلاف عن الحياة الحضارية دون مقارنة في ذلك، مثلا نجد المرأة تعمل وتشتغل في البيت، تقوم بأعمال كالطبخ وغسل الملابس وتربية الأطفال، إلا أن المرأة في منطقة القبائل لم تخلق فقط من اجل ذلك الدور فهي تعمل داخل البيت وخارج البيت ، فأعمالها لا تعد ولا تحصى تشقى في جلب الماء من مكان بعيد تنتهي إلى الغابة للاحتطاب، ذلك تلبية لمتطلبات والتدفئة، بل تتعدى ذلك، نجدها تعمل في الحقول في الصباح الباكر، إضافة إلى ذلك تربية الحيوانات فهي منبع العطاء رمز الحركة والحيوية لا تستطيع التوقف عن العمل، فالمرأة الريفية تعرف المعنى الحقيقي للتعب، ومن عادات وتقاليد هذه المنطقة أن كل أسرة قبائلية إلا ولها مسؤول على المؤونة يتصرف فيها فعائلة" آل منراد" كما يبين لنا الروائي" دور الجدة تسعديت في تسيير شؤون البيت هي المكلفة بالمعاش، تفتح إيكوفان وتغلقها وكان لها طريقتها

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 06

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 19

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 19

الخاصة في كيفية نزع الغطاء أو رده إلى مكانه، وكان بيت المئونة مجالها الخاص، ولها مكاييلها الخاصة وحسابها الخاص، وما كان بإمكان أحد ان يقترب إلى المؤونة وعندما يحضرن النسوة وجبات الطعام هي التي تضعها في الصحون، اما اللحم كانت تطلب من ابنها الأكبر أن يوزعه لأن ذلك شغل رجال"[1].

ولا ننسى أن في هذه المنطقة لا تخفى عنها الصناعة التقليدية من صناعات الفخار والنسيج، حيث تعتبر من الصناعات الأولى في منطقة القبائل من زمن بعيد إلى يومنا هذا فبهذه الصناعة يضمن كسب العيش من صنع الأواني الفخارية ونسج الزرابي وبيعها، أو الاحتفاظ ببعضها لاستعمالها، فلا يجب في منطقة القبائل بيت خاليا من الأواني الفخارية أو الزرابي التقليدية.

وأصبحت الصناعة التقليدية موروثا ثقافيا يتوارثه جيل بعد جيل، لذلك نجد صانعها يترجم فيها مشاعره وآماله، ومظاهر الطبيعة يجسدها في الأواني الفخارية، والزرابي التقليدية ومع مرور الوقت أصبحت الصناعة التقليدية تبرز الهوية القبائلية، كما تعتبر المصدر الوحيد الذي يستطيع صانعه كسب رزقه، ويظهر ذلك في رواية عند الخالتين التي كانتا تمارسان صناعة الفخار ونسج الزرابي لبيعها لكسب العيش في ظروف قاسية خاصة بعد موت والدها الذي ترك لهما ثروة قليلة:" فكانت الأختان تتعبان في معالجة الطين منذ فصل الربيع، وذلك في كسر قطع المدر في ساحة ويعرض على الشمس، ثم يسحق حتى يصير غبارا ويبلل وتصنع الخالتان العجينة تملأ بها الجرار، وبعد يومين تصبح العجينة متماسكة وتضاف إليها بقايا وعاء قديم مسحوق، فتكون الطين وتفيضه بالطين الطري، وآن الأوان لتشكيل العجينة، تبدأ الخالتان بوضع الأواني، وبعدها تترك لتجف ثم توضع داخل النار وفي

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 25-26

الأخير تقوم الخالتان بتزيين الأواني وبيعها في الصيف لادخار ما يكفي للعيش في فصل الشتاء"[1].

وهكذا تعتمدان على صناعة الفخار ونسج الزرابي لتوفير لقمة العيش وهذا نمط معيشتهما حياة بسيطة عادية هادئة، وتكمن قيمة الأشياء في بساطتها.

كما تعد فلاحة الأرض من أبرز ما يميز الإنسان الامازيغية قديما، فهي تعتبر بمثابة الدخل المعيشي للسكان، وهذه الأخيرة كانت تنسب إلى الرجال، ويظهر ذلك جليا في رواية في قوله:" أن الأب رمضان كان فلاحا خشنا قوي البنية يعمل في الحقول يقتلع الأشجار اليابسة ويستصلح الأرض ويغرسها أشجارا وزرعا وخضرا كما أن علمه لم يقتصر على استصلاح الأراضي فقط إنما يعهد إلى تربية الحيوانات زوج من الثيران، حمار وعنزة وخروفين، أما الثيران يستخدمان في حراثة الأرض، والحمار كان يوفر كثيرا من الخدمات، يحمل على ظهره الحطب والحشائش من الحقل ويحمل إلى المدنية العنب والتين لبيعها، زفي كل سنة يذبح خروفا في العيد إكراما للنبي، أما الخروف الثاني يبيعه ويعود بالمال لينفق على أسرته، أما العنزة كان يستفيد من لبنها"[2] والفلاحة إن عبرت عن شيء إنما تعبر عن شيء واحد ألا وهو الأصالة والتمسك بالأرض الطبيبة، رغم البؤس والشقاء.

كما نجد في رواية ابن الفقير تستوقفنا مقاطع كثيرة تطلعنا على اهتمام الكاتب بتصوير بعض العادات والتقاليد التي يهدفها على لسان الطبل" فورولو" ومكانته في البيت التقليدي الذي يسيطر عليه العرف والأسطورة والتقاليد الجاري المحافظ وذلك في قوله:" ولدت في سنة المباركة 1912 قبل قرض فبراير الشهير الذي ؟أهلك عجوزا عند درى الجرجرة ومسخها حجارو والذي مازال الآن يثير هلع الذين بلغوا الثمانين من بين القبائليين ولما كنت أول مولود ذكر صممت جدتي دون تردد على أن تسميني فورولو من أخر أي انه

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 51-52.

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص70

اختفى ومعنى ذلك لا أحد يمكنه أن يراني بعين الطبيبة او الشريرة حتى ذلك اليوم الذي أعبر فيه بنفسي هي قدمي عتبة دارنا"[1].

بحيث يعتبر هذا الأخير في المعتقد القبائلي أنه إذا سمي به شخص لا تصيبه العين بشرها ويتركب اسم فورولو من قسمين "فور" أفر وتعني (اختفى) و" اولو" (مخيأ) وجمع الاسم كاملا فورولو: (الولد الخفي)"[2]

كما نجد ان من معتقدات المجتمع القبائلي قراءة الفاتحة من اجل الصلح وهذا في قول الكاتب" بعد ما تناولوا الكسكس قرؤوا الفاتحة على الأحياء وأخرى على الأموات وثالثة على الآلهة"[3]. وهي عادة أو سلوك يدل على إنزال البركة والصلح بين الناس.

نرى من خلال الرواية ان للمجتمع القبائلي ثقافة خاصة وميزة فهو ينطوي على عدة معتقدات توارثها عبر الأجيال وغير راسخة في جذوره من بينها ثقافة إنجاب ولد " ذكر" فالفتاة القبائلية تنشأ في ظل هذه الثقافة من خلال أدعية والشيوخ الكبار في السن يرددن عدة أدعية منها" يا رب أرزقنا الصحة والعافية ونعمة الأولاد وابعد عنا الأحزان والأمراض والبنات حيث أن التهاني بولادة المولود الذكر تكون بعابرة الله سيكثر خيرك، مبروك المولود الله يطول عمره، بينما تكون العبارات المتعلقة بالمولود الانثى الكل مبروك"[4] فقط حيث أن الولد في المجتمع القبائلي يعرف مكانته من سن صغير فيبدأ بفرض سلطته واستبداده أول الشيء

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 24

1. [2] Dalila BELKACEM « «de texte ta graphique au texte rommes que dans le Fils du pauvres » de M.F, 2005, UR-T http//insamia ant levres org/4649.

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 45

[4] كمال الحمرا، صورة المجتمع الجزائري، larevve africain 1856-1967 أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الجامعية، جامعة منسوري قسنطينة، 2010، ص 275

على أخوته البنات وهذا ما أشار إليه الكاتب:" أدركت أهميتي بداية الأمر سن الخامسة فأسرفت في حقوقي وتحولت إلى طاغية على الصغرى من اخوتي.."[1]، كما له الحصانة من طرف الكبار فيحق له أن يضرب أخوانه وبنات عمه حيث تلقى وقاحة وقلة أدبه رضا واستحسان الجميع وأشار إلى هذا في قوله:" استطيع أن أضرب اخوتي وبنات عمي وأفلت من العقاب"[2]، كمنا انها تصور لنا الرواية بأن الفتاة في المجتمع القبائلي مظلومة لدرجة انها لا تورث وترح من ميراثها خوفا من أن ينقل الميراث إلى عائلة أخرى مع علم الأب أن ليس لديه سند بعده وأشار الكاتب إلى ذلك في قوله:" كان جدي أحمد أرمل ولم يكن يجهل أنه ليس لبناته أي سند يستند عليه غير أنه لا يجرؤ على منحهن كل الثروة وهي الكيفية الوحيدة قبل وفاته التي تحفظهن من الفاقة كان يخشى على ثروته أن تكون صبيا سهلا في أيدي النساء... لم يكن يرغب في إقامة الآخرين على أراضيه مخلفين أنجال وأبناء أنجال"[3]

فكانت الفتاة القبائلية مظلومة في مجتمعها فكان توريثها عندهم نقص لكرامة إن لم يكن تدنيسا لها فهم يرون انه في حرمانها من ميراثها حفاظا لكرامتهم وعزهم وقد ورد ذلك في قول الكاتب" إن آيت موسى سوف يختارون الكرامة لن ينظروا بأن تلطخ سمعتهم البنات"[4]

كما نرى ان الزواج في المجتمع القبائلي هو مهمة الجماعة كلها وليس قرانا يخص الزوجين فقط، وإنما هو سبيل لتوطيد العلاقة بين المجموعات والعائلات القبائلية ولذلك نجد في الغالب أن مجتمع القرية ينتمي إلى أصل واحد بفضل صلة الدم او صلة النسب

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 26

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 32

[3] المصدر نفسه، ص26

[4] المصدر نفسه، ص 27

والمصاهرة، كما أشار إليه مولود فرعون في قوله:" لقد أحببنا منذ آمد بعيدة زيحات بين (القروبات) بحيث أضحى تاريخ القرية كتاريخ شخص واحد"[1].

ويراعى في هذا الزواج أيضا أمورا أخرى كالأرباح التي يمكن جنيها منه والقوائد التي يدرها فهو في كثير من الأحيان يأخذ طابع الصفقة التجارية حيث تختار الأم والأهل العروس من عائلة متيسرة الحال كما أشار إليه الكاتب في قوله:" إن العجوز هي التي تختارها، كان والد حليمة صديقا قديما لجدي وقد كان جنديا في فيلق مدغشقر عاد منها بنصيب من المال ظنت جدتي أنه غني جدا، وفكرت أنها وجدت فيه السند القوي"[2]

فإنه حتى وإن كانت العروس من الأهل والأقارب فإن هذا لا يمنع والتفكير في المصالح فتطلب يدها للزواج من منطلق حسابات كثيرة أي أن المصلحة هي الأساس الذي يحكم العلاقات كما ورد في قول الكاتب:" كانت والدتي من آيت موسى فهي حينئذ ابنة عم آل منراد، اختارتها جدتي أيضا من منطلق حسابات، كان جدي أحمد من جهة ووالدتي قد ورث لبناته الثلاثة قبل وفاته منزلا صغيرا وحقلا"[3].

ومن عادات المجتمع القبائلي أيضا أن الموت عندهم تشير إلى الأفراح أكثر من إشارتها إلى الأحزان حيث أن أهل الميت يجتمعون ويذبحون ويطبخون الطعام (الكسكسي) التوزيه على الفقراء ليرحبون تلك الليلة بالأناشيد الدينية، أملا منهم في آن ترتاح روح الميت في قبره، وقد أشار الكاتب إلى ذلك في قوله:ط كانت جدتي تدبر البيت بحزم،.. توفيت فجأة في نفس السنة التي التحقنا فيها بالمدرسة... بكيت عليها كنت موارية لاعتقاد هما أنهما قد أصبحتا مطلقتي اليدين، ودفنها والديها كيفما استطاعا، بات ينشدها ثلاثون خونيا هرما

---

[1] المصدر نفسه، ص 17-18

[2] المصدر نفسه، ص 25

[3] المصدر نفسه، ص26

أناشيد دينية إلى غاية الصباح وذبح كبش ووزع الكسكسي على جميع فقراء القرية ورافقهما إلى مأواها الأخير اثنا عشر مرابطا"[1].

كما أن عند موت فرد من العائلة يستوجب على الأهل والأقارب مرافقته إلى المقبرة لتوديعه بكثير من البكاء والنحيب مع تعداد محاسنه والتذكير بخصاله الحميدة فمن" عادة الأقارب أن يرافقوا الفقيد إلى غاية أطراف القرية، اصطفت والدتي وإخواتي وبنات عمي وجميع أفراد عائلة آيت موسى لتوديع يمينة الطيبة المتجهة إلى المقبرة الكبرى ليتيزي، لتقبر تحت شجرة الزيتون العريقة المسكونة بالبوح والأشباح ناقلة معها رقتها وابتسامتها وذكائها، كل نسوة يتجهن وهن يتذكرون خصالها الحميدة، ولو أن نانا رأت هذا الحشد من الناس لحقق قليلا من وطأ ذهبها"[2]

وما يفتأ مولود فرعون بذكر بعض العادات والاعتقادات بلهجة يبدوا عليها بعض الاستسلام وتقرير الواقع: بمعنى غياب نوع من الرفض، والاعتراض، والنقد لما يسرده من اعتقادات ومسلمات لدى المجتمع الذي ينتمي إليه، بل ولدي أسرته الذي يعيش فيها كقوله: عندما يحكي عادة أبيه في الاعتناء بخروفية ورعيها وكيفية استغلالها" يصادف أحيانا أن تذبح واحدا وتأكله وكان من السهل الوقوع على نخلة لذبحه كانت أمي مصابة بمرضين أو ثلاثة أمراض كثيرا ما تتحدث عنها إلا أنه لا يمكن معاينتها البتة، وبمحض الصدفة... أشار عليها درويش بأن تذبح جديا لونه من لون جدينا بالذات... إلا أن الجميع يعلمون بأن ذلك المرض مرده الجن، وأنهم يلازمون المريض لا يفارقونه حتى رؤيتهم سيلان الدم من جدي في لون جدينا"[3].

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص74

[2] المصدر نفسه، ص 106

[3] المصدر نفسه، ص 35

لقد أولى مولود فرعون" وهو يروي روايته أهمية خاصة لمعتقدات الناس، والتي يعبر من خلالها، عن مستوى الوعي والثقافة لدى أهل قريته الذين لم يفارقوا هذا الحيز الجغرافي الضيق في مساحته والأضيق في وعي ومفهوم أفراده، إذ يقول واصفا طباع زوجة عمه" حليمة" وما تأتيه من أعمال خفية كتقديمها الهدايا الكثيرة من العجائز الخاطبات" وهل يمكن لأمهات شباب الحي أن يحدثن بجميع ما قبله منها من الهدايا أن يتخذن مع ذلك من بناتها زوجات لأبنائهن؟ وشيوخ الزوايا بتحويذاتهم الغريبة التي ينبغي أن تخاط في طرف من أطراف الجبة تحت الإبطين والتي ينبغي أن تعلق في قصبة قبالة المنزل المطلوب بالضبط كم نقدمهم فلا سمعهم؟ هناك كانت تروح مدخرات عمي الضئيلة.."[1]

ومن الملامح التي نجدها حاضرة بقوة في رواية" ابن الفقير" اصرار الكاتب على سرد مقاطع يؤكد فيها ظاهرة إيمان الناس بمعتقدات معينة، وتجاوب فئات من المجتمع مع أباطيل الشعوذة ونزهات عمد الاستعمار بسياسة التجهيل والتهميش، إلى زرعها بل ترسخها في الأذهان بغية إغراق الفرد الجزائري في البؤس الدائم، والشقاء الذي لا ينتهي حتى يستولى عليه الجهل ويغفل عن التفكير في الوسيلة التي تخرجه من بوتقة الاستعمار والاستغلال والاضطهاد ومن هذه المشاهد الكثيرة التي صورها" فورولو" ما ذكره من اعتقادات حول سبب جنون خالته:" كانت أمي تقول لنا أن ذاك بسب اكتمال البدر، كانت توحبس خفية من دعوة نوبة الغضب إليها عند مطلع الهلال الجديد أما جارتنا، فيمكن يزعمن ان الجن يعلمون خالتي الشعوذة وان لن تلبث أن تتنبأ بالغيب، وأنها ستكتب عندها ما يمكن الإنفاق على الأسرة بدون حساب لا أملك سوى أن أعترف بأن أبي كان يسترق السمع إلى هذه الحتميات بأذن راضية لشدة قسوة الحياة معنا اما أمي فكانت تثور ثائرتها لمجرد التفكير في الحصول على أي إيراد متمثل تلك المصيبة، لم تكن تريد أن تصبح إحدى

[1] المصدر نفسه، ص83-84

بنات أحمد مشعوذة تقرأ الفأل... ما كنت تود أن يكون هو أن تقاد أختها إلى بعض الشيوخ الصالحين المشهورين في الزوايا، حتى يحاولون التعزيم عليها طردا للأرواح الشريرة"[1]

كما أن الأفكار التي يملكها المجتمع القبائلي للعلاج أقل ما يقال عنها أفكار مجنونة توارثها عبر الأجيال واستخدموها للتداوي ونسخ بعضها في التراث الثقافي لهذه القبائل عبر سنوات متعاقبة، رغم أنها لا تمد للعلم بصلة فهي مجرد خرافات لا أساس لها من العلم بالطب، وفي هذه المنطقة" صورة الممارسات الطبية لدى الأهالي مقرونة بالخرافات والأساطير: حيث كان الأهالي هذه القرى يشخصون المرض كما يحلو لهم، فعندما يعاني المريض من الهذيان ويقول أشياء منسجمة فدائما يتجه الأهالي إلى أن سبب هذا الإنسان هم " الجنون" كما ورد في قول الكاتب:" أنهم الجنون إن والدكم يصارعهم من ساعة تصارع فورولو و تضاءل وتمنى إلا يشعر الجنون بوجوده أن أقعدوا والده فهم أقوياء جدا"[2]. والحل الوحيد أمامهم في هذه الحالة هو الاستعانة بمرابط القرية ليخرجهم من جسد هذا المريض ليشفى من سقمه، وقد أشار الكاتب إلى هذا في قوله" وجد في البيت شيئا بصدد كتابة تميمة لوالده، وكان الوالد وسنا، أيقظ المرابط المريض لا استجواب، كان رمضان يبرد بعقلانية على أسئلة الشيخ وهذا لم يمنع الطالب من استنتاج معاني خضية الكلمات" [3]، حيث رأى المرابط أن هذه الحالة التي وصل إليها الرجل لأن" الجنون أزعجوا أثناء الليل بالقرب من منبع محاذ للمنشر، وأنهم ولجوا الأجساد لأنه لم تؤخذ الاحتياطات اللازمة لطردهم بالصيغة المعتادة التي تشبه شيئا مثل فادريتو و تاناش"[4]

حيث يصل المرابط بعد تشخيص الحالة ومعرفة السبب إلى وضع العلاج المناسب الذي يكون بالطريقة الغريبة نفسها التي شخص بها المرض حين يرى المرابط أنه: لإخراج الجنون

---

[1] المصدر نفسه، ص126-127

[2] المصدر نفسه، ص 126

[3] المصدر نفسه، ص 127

[4] المصدر نفسه، ص127

من الجسد يجب التضحية يتسبب بتبخير بطن المريض بورقة غار وردي مكتوبة من الوجهين تكرر هذه العملية ثلاث أوراق غار تحمل كل واحدة منها سطرا، سطران، ثلاثة أسطر من تخطيط الطالب"[1]، حي تأن هذا النوع من الممارسات يدخل في مجال السحر والشعوذة وهو أمحرم في الدين الإسلامي حيث أن الله تعالى حرم السحر حيث أتى بدليل تلك في قوله تعالى:" ولا يفلح الساحر حيث أتى"[2]حي أن أهل القبائل:" مؤمنون جدا، ومنحرفون جدا في الوقت ذاته ولهم ثقة تامة فيما كتب لهم الشيوخ الدين (الطلبة) من معوذات تحفظهم، وتدفع عنهم الشرور وتتسبب لنسائهم الإنجاب"[3]، فنشأ أهل القبائل من نساء ورجال هذه العادات والتقاليد حتى أصبحت بمرور الوقت كقانون يحشدون عليه ويقدسونه.

2- أهم القضايا الاجتماعية:

1. النزاعات داخل العائلة:

من المعروف والواضح أن أي مجتمع يتكون من مجموعة من الأسر، فالأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع فهي كما يعرفها مالينوفسكي بأنها: مجموعة من الأفراد تربطهم علاقة تميزهم عن غيرهم من الجماعات ويعيشون في منزل مشترك وتربطهم عواطف مشتركة" ولكن في كثير من الأحيان يتحول هذا التنظيم إلى ساحة لصراع ونزاع وذلك لأسباب عديدة.

أ. النزاع بين الحماة والكنة:

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 127

[2] سورة طه، الآية 69.

[3] كمال لحمر، صورة المجتمع الجزائري، 1856-1967، ص 415.

حيث نجد في رواية ابن الفقير هذا النوع من الصراع الذي يكون بين الحماة والكنة:" النزاع أو التعارض بين المصالح والآراء أو الصراع حول الحق..."[1]، وهذا غالبا ما يكون نتيجة لعدم التفاهم بين كلا الطرفين في تسيير الشؤون الداخلية للبيت بحيث تفرض الحماة سيطرتها على كامل البيت وهو الأمر المرفوض لدى الكنة بطبيعة الحال وقد أشار الكاتب إلى هذا في قوله:" كانت حليمة زوجة عمي... امرأة شديدة قاسية وصريحة ذات عينين متوقتين وصوت جهوري ويدين رشيقتين وهيبة سنورية، ومنذ الوهلة الأولى تصدت للعجوز تسعديت التي لم تتأثر في ترويعها"[2]

كما يمكن أن تحدث النزاعات داخل البيت إذا فضلت الحماة إحدى الكنات على الأخرى وقد ورد ذلك في قول الكاتب" لا أعتقد أن جدتي قد اشتكت يوما من والدتي فاطمة، فقد كانت تعيش تحت ظلها غير أنها كانت العدو اللدود لحليمة، وجدت العجوز نفسها بين المطرقة والسندان لكونها تحب لونيس أكثر من رمضان ولكنها تفضل فاطمة على حليمة"[3]، حيث أنه دائما ما تكون التفرقة بين الكائن بسبب رئيسي في بداية النزاعات والفتن.

ب. **النزاع بين الكنائن:**

يعتبر الأمر شائعا خاصة في العائلات التي يكون عدد أفرادها كبير نتيجة عدم قدرة الأبناء على مغادرة البيت بعد الزواج في استقلال خاص بسبب الفقر والحاجة مما يدفعهم للعيش مع بعضهم وهذا ما يولد نزاعات ومناوشات بين الكنائن وتكبر وتزداد عدة الصراع عندما تموت العجوز التي كانت مسيطرة على زمام الأمور، وقد أشار الكاتب إلى ذلك في قوله:" تخاصمت والدتي مع حليمة ليلة دفنها نفسها على تركة الفقيدة، كنت مندهشا غير

---

[1] أحمد عاطف عيش، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، 2006، ص 73.

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 25

[3] المصدر نفسه، ص 29

أنني لاحظت أن والدي وعمي كانا راضيان على تلك الملاسنة وكل منهما يناصر زوجته"[1] كما انه أحيانا تتدخل بعض الأطراف الخارجة التي تحاول بكل الأشكال إشعال الصراع عن طريق الفتنة، وقد أشار الكاتب إلى ذلك في قوله:" أيام يعد ذلك يجب أن تعهد إدارة المنزل إلى إحدى المرأتين لأن هناك طامحتان، وأخذت العصبية تدخل من كل حدب وصوب، وكان الجيران ينكون نار الفتنة فسينتصرون تارة لوالدتي وطورا لخالتي"[2]، وغالبا ما يؤدي الصراع بين الكنائن إلى درجة الكره فيصل هذا الكره حتى الاطفال حيث أن كلا الكنتين أبناء بعضهم وبالأخص إذا كان الولد ذكرا وقد أشار الكاتب إلى هذا في قوله:" لا زلت للحين أتذكر صوت حليمة ونظراتها الشزراء لقد أدركت مبكرا كراهيتها لي"[3]، وهذا الجو المشحون وما يميز عادة العائلات الكبيرة وخاصة الفقيرة منها حيث بؤرة ملية بالصراع.

2. الصراع بين أفراد القرية:

إن الصراع بين الأفراد هو جزء لا يتجزأ من الحياة وهو جانب منها، وذلك راجع لعدة أسباب من بينها قلة التواصل واختلاف الأفكار والآراء، فالصراع هو:" أقسى عملية من العمليات الاجتماعية وعبارة عن تضارب القوى الاجتماعية ونضالها"[4] حيث ينشأ لدى الأفراد عند ارتفاع درجة الكراهية ونتيجة أمر ما " فيظهر هذا النوع من الصراع عندما تشتد المنافسة بين شخصين إلى درجة الكراهية ويحاول كل منهما تدمير الآخر والقضاء عليه وإذلاله بشتى الطرق والوسائل الممكنة ويمكن أن يحدث هذا الصراع بين مختلف محاولات الحياة"[5]

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 75

[2] المصدر نفسه، ص 75

[3] المصدر نفسه، ص 35

[4] المصدر نفسه، ص 34

[5] محمد عاطف عيش، قاموس علم الاجتماع، ص 73

فالصراع بين الأفراد يمكن أن ينشأ على أتفه الأسباب وفي بعض الأحيان يبدأ من الأطفال الصغار ويتفاقهم لدرجة المعارك والاقتتال بين الكبار وقد أشار الكاتب إلى ذلك في قوله:" غصت الساحة بالحاضرين وصارت كخلية نحل ذهابا وإيابا كنت وحيدا في هذه المصارعة أين أمي؟ أين عمي لمحت في مخارج تاجماغث كوكبة من الأفراد تتدافع وشهدت بأمي عيني قريبا من أقارب بوسعد يرمي حجرا ويخلق صوتا خافتا ثم سمعت صيحة عالية تعلو ذلك المعرج والمزج، واندفاع أحد أبناء عمومتنا نحو الهيجاء ملوحا بعصاه وأنهض أحد الواقعين على الأرض كان عمي"[1]،وفي هذه الصراعات تجد لكل مشارك سواء الكبير أو الصغير حيث يأخذ يعين الاعتبار كل الحسابات القديمة كما ورد فقي قول الكاتب: كانت تاجماغث تغص بين الغينة والغيتة بالمتفرجين والمتصارعين وما من أحد من المتفرجين كان من الحياد، ها هن العجائز اللواتي تنهش العداوة باسترجاعهن الحسابات القديمة اللاتي تنتظر سوى حجة واهيبة لتلهب من جديد فجأة"[2]

إن الصراع امر طبيعي في المجتمع القروي لا يكاد ينتهي الصراع حتى يظهر الآخر وهكذا تبقى الأمور بين مد وجزر.

3. الهجرة:

شهدت منطقة القبائل هجرات متواصلة إلى فرنسا منذ 1911 نظرا للوضعية الاقتصادية المتدهورة التي آل إليها المجتمع الجزائري من جراء تطبيق سياسة التفقير وعملية الاستيطان المتواصلة وأحادية المنتوجات الزراعية وقلة القطاعات الانتاجية الأخرى معدا الفلاحة، وكانت سنوات 1915-1920 سنوات البؤس والشقاء وانتشرت مجاعة كبيرة بين عامي 1920و 1933/ 1934 وأمراض وأوبئة أودت بحياة الكثير وأنت على قرى بأكملها[3]، زدفع

---

[1] المصدر نفسه، ص 44

[2] المصدر نفسه، ص 44

[3] voir : wadi bougar : la mouvance et le pousse, te, SNED, Alger. 1983 ; p133.

الفقر بالريفيين لأن يغادروا إلى المدن الشمالية الفرنسية بحثا عن العمل، وقدر عدد المهاجرين من شمال إفريقيا ب 3000 في عام 1911[1]، واكثر من 5000 جزائري متواجد بفرنسا سنة 1912،[2] وارتفع العدد بسرعة مذهلة ليصل إلى 100000 سنة 1924[3]، تقول عايدة" أديب باهية" عندما أتيحت الفرصة للروائيين أن يعبروا عن أنفسهم، أنصب اهتمامهم الأول على المشاكل الاجتماعية التي تواجه شعبهم"[4]، لذلك نرى اغلب الروايات إنما تعالج هذه الأبعاد الاجتماعية، كالهجرة لأنها تمثل منعطفا هاما بالنسبة للمهاجر ولأسرته بكاملها.

ذلك أن من أهم عوامل الهجرة الحاجة إلى العمل، وهذا لا يعني بأية حال من الأحوال أن العيش الرغيد ينتظر كل من يفكر في مغادرة وطنه، فأغلب من استجمعوا شجاعتهم وقواهم وارتضوا على مضض مفارقة الأرض والأسرة والأهل، استحالت أمالهم إلى جيبة وبؤس وشقاء هذا إن لم نقل ذلا يلعقه المغترب علقما في كل لحظة يتعرض فيها للإهانة والاستبداد والاستغلال.

إن موضوع الهجرة تضمه كتاباتهم النثرية أيضا فهذه" مرغريت طاووس" " مروش" تناولت في روايتها" ياقوتة السوداء" موضوع الهجرة وتعرضت تفصيليا لحياة العمال في أرض الغربة، خاصة وأنها كانت شاهد عيان على ذلك لأنها عاشت الاغتراب عن وطنها، فهي تروي قصة فتاة جزائرية مغتربة تدرس في باريس، وكانت شديدة الشغف بوطنها، هذا الوطن الذي لا يمكن لأي فرد أن ينتكر له أو ينساه[5].

---

[1] tayeb bellaila : les algériennes en France, ED nationales algériennes, Alger, 1965, p13.

[2] ibid p- 14

[3] ibid p-29-30

[4] عايدة أديب باهية، تطور الادب القصصي الجزائري، ص71.

[5] المرجع نفسه، ص 95.

وليس لنا بطبيعة الحال، أن يغفل" مولود فرعون" في الحديث عن هذه الظاهرة في روايته" ابن الفقير"[1] الذي لم يجد أي صعوبة في جمع المعلومات عن الهجرة، لأن والده كان واحد من هؤلاء الذين عانوا البعد عن الوطن من اجل حماية أبنائه من عائلة الجوع.

ويسرد هذا الروائي واقعة هجرة أبيه معلقا:" غادر رمضان القرية ذات صباح تاركا أهله في رعاية أخوه، وسافر إلى فرنسا للعمل فيها، كان ذلك الملجأ النهائي والأمل الأخير... كان يعلم أنه إن ظل بالبلاد فإن الدين سيتضاعف مثل كرة الثلج ولا يلبث أن يجرف معه وارث العائلة المتواضع جرفا، كأنه السيل الجرار"[2]

وهكذا تبدأ مأساة اغترب الوالد بالنسبة ل" فورولو" ولكل الأسرة إنها معاناة الوحدة وفقد العائلة، ثم إن غياب الأب فرض على فورولو مسؤولية كبيرة، إذا كان عليه أن يقود الخروفين إلى المراعي، ويعود بكيس من أوراق المران، وأن يورد الثورين الماء، وان يبحث عن الحطب الجاف بين الأغصان للكانون،[3] وغيرها من الأعمال اليومية التي كان عليه القيام بها بمساعدة أختيه.

إن هذه الظاهرة الاجتماعية في الحقيقة من الموضوعات التي تتبني عليها الرواية بشكل عام لأنها أضحت إشكالية غريبة وربما عالمية، ظهرت مع بداية ظهور الإبداع الروائي، وقد استنفذت الرواية هذا الموضوع حتى أصبحت وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها الكاتب الهروب من الواقع المعيش والمعقد جدا[4]

وإن كان على الكاتب يعيش الظاهرة من خلال فرد من العائلة مثل مولود فرعون" في روايته فإنها تبق بعدا اجتماعيا ملحا بغرض نفسه في كتابات الروائيين، لأنها تترك أثرا بالغا

---

[1] عايدة أديب باهية، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص95.

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 177

[3] المصدر نفسه، ص 118.

[4] واسيدني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 142.

في حياتهم وتجاربهم، ذلك أن الهجرة قد تأتي على صاحبها وتنجر عنها متاعب من نوع آخر.

يقول محمد مصايف" كان الفلاح الجزائري يهاجر إلى فرنسا وكله أمل في العودة سريعا إلى قريته غير أن الهجرة كانت تحمل أخطارا أخرى غير خطر إهمال الأهل والأرض، كان الكثير من المهاجرين يرجعون إلى بلادهم وقد أصيبوا بأمراض مزمنة...وقد فقد الأمل في الحياة"[1]

وهذا هو الخطر الذي عبر عنه" مولود فرعون" عندما تحدث عن والد" فورولو" الذي تعرض إلى حادث خطير في مغز عمله، إذ راح الوالد يسأل صديق والده العائد من فرنسا عن أبيه، ورسالته إليهم.

" هل سلمك رسالة؟ هاتها؟

هي في جيبي، فلتأت أمك أولا، أسرع

جاءت أمي على عجل، قال لها الرجل:

نانا فاطمة، أطفالك محفظوظون جدا ، قدمي قربانا أخر إلى قبة القرية لقد كاد زوجك أن يهلك لكنه الآن قد نجا، فلا تخشي شيئا.

واكفهر وجه المرأة المسكينة وابنها الشحوب..."[2]

هذه هي الغربة وفي زمن الاستعمار، إذ نجا المهاجر من خطر الموت المحدق به، فإنه عرضضه لخطر أكبر قد لا ينجو من شراكه، وهو الذوبان في المجتمع الفرنسي، وذلك بسبب المغريات العديدة التي يواجهها مدة لإقامته في فرنسا، وقد يبلغ درجة الذوبان

---

[1] محمد صايف، النثر الجزائري الحديث، ص 26

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 126

الحضاري الكامل... بحيث يستبدل التقاليد الغربية والأسماء الأجنبية بعاداته وتقاليده الأصلية، وهو ما يوقع المهاجر في أزمة نفسية لا يستطيع التغلب عليها حتى إن عاد إلى وطنه،[1] وهذا الأثر النفسي نجد في كثير من الروايات.

أما مولود فرعون" في نصه الروائي فيتحدث عن ظاهرة الهجرة وأثرها النفسي السلبي على أبيه أولا، الذي عان الأمرين في غربته، الشقاء والاستغلال من جهة وحادث خطير كاد يؤدي بحياته من جهة ثانية، كما أن الأسرة كان لها نصيب من عناء هذه الغربة وبصماتها النفسية.

3- مظاهر الهوية الثقافية في الرواية:

أ- مظاهر الثقافة المادية في الرواية:

1. المأكل:

يشتهر كل التراث أمة بالأكلات الشعبية التقليدية التي تعد أحد أبرز المعالم الثقافية المادية وإحدى روافد الهوية والتراث، بحيث نجد أن الرواية التي بين أيدينا أنها لم تخلو من الأطباق الشعبية التقليدية التي تظهر الهوية الجزائرية والمعبرة عن الأصالة والتراث عريقين بالمنطقة.

وعلى غرار بقية المناطق الجزائرية يتلذذ أفراد منطقة القبالئ بالطبق الرئيسي" الكسكسي" و الذي كان حاضرا في أغلب مقاطع الرواية، يقول مولود فرعون " على لسان فورولو الصغير" فقد كان الجميع في أريحية كسكسي لذيذ، ولحم ظازج، وبعد الخطب سوف يحتسي الشيخ قهوة وافرة في الآفاق..."[2].

---

[1] محمد صايف، النثر الجزائري الحديث، ص 27.

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلانتيقت، بجاية، الجزائر، د،ط، 2014، ص 51.

يعتبر الكسكس من أهم أكلات الشعبية التقليدية الجزائرية التي تعبر عن هوية ثقافية للمنطقة لما يعمله من معاني، معد أساسا من القمح أو من الشعير، إذ يقول مولود فرعون" تفادي كل واحد من صاحبه عندما بلغت الساحة الحادية عشر، وهرع إلى منزله لتناول كسكسي الشعير"[1]

إن جذور الكسكس في المنطقة فهي قديمة قدم هذا الشعب فلا" يمكننا أن نربطه بقدوم حضارة دون أهرى لكنه مرقه بشتى أنواع الخضروات الطازجة ومنها المجففة والكثير من التوابل واللحم فهو مزيج لتلك الخضروات ومسرة لها"[2] كما ان بلاد القبائل معروفة بأشجار الزيتون والزيت الزيتون هذا الإرث الفلاحي الذي لا يفارق مائدة العائلة القبائلية، إذ يعتبر زيت الزيتون عماد طعامهم الذي يعتمد على العجائن والخضر،وقلما نجد عائلة من القبائل لا تملك أشجار الزيتون أو رحى للزيت هذه الشجرة المباركة التي ذكرت في القرآن الكرم، فهي تعبر عن أصالة وهوية الشعب الجزائري" الأمازيغي".

وهذا ما يذكره مولود فرعون عند امتلاكه لأول رحى زيتون قائلا: عمل والدي إثنين وعشرون يوما متتاليا عندما بنيت أول رحى للزيتون في القرية، وكانت رحى هيدروليكية وذات مضغاط.."[3]

إن الزيتون أغنى من الذهب كما يقال لما تحتويه من فوائد لجسم الإنسان، ولولا فوائده لما كان اهتمام الفرد الجزائري بهذا الموروث إذ يقال لما تحتويه من فوائد لجسم الإنسان ، ولوا فوائده لما كان اهتمام الفرد الجزائري بهذا الموروث إذ يقول فورولو الصغير واصفا ابنة

---

[1] المصدر نفسه، ص 82.

[2] مقال وصفة الكسكس مع معلومات غذائية www.wikipidia.org 2016/03/09 le 32: 14

[3] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 80

عمه بين أشجار الزيتون:" كانت ترتعش من شدة البرد تحت جبتها الوحيدة ذات الأكمام القصيرة ولكنها كانت تغني وهي تلتقط حبات الزيتون.[1]

2. الملبس:

إن أبرز ما يميز الشعب الأمازيغي عن غيره من الشعوب هو أزياءه التقليدية حيث يعتبر اللباس الأمازيغي معلما من معالم ثقافة الشعب القبائلي التي تبقى متمسكا بها إلى أمد طويل.

ففي رواية ابن الفقير" كان اللباس دور مميز في تقديم صورة الجزائري الذي حافظ على أصالة تراثه والتمسك بعاداته وتقاليده مهما كانت التأثيرات الأجنبية الداخلية من طرف المستعمر، يقول مولود فرعون" على لسان فورولو الصغير واصفا عمه " لونيس" لقد شاهدته دائما بقندورته البيضاء وشاشه الملفوف بعباية فائقة، وقلما خايلته بالمعول في يده، والحزام المرصع بالمسامير الذهبية يشد وسطه.."[2].

حيث أن القندورة تعتبر الزي التقليدي الذي يتوارثه الآباء عن الأجداد عبر مئات السنين، فهو يبرز هوية الفرد الجزائري، فهو اللباس الوحيد الذي لا يستغني عليه الجزائري سواء كان ذكر أم أنثى واو كان فقيرا أم غني ولا يكتمل مظهر الرجل وجمال هندامه، آنذاك، إلا إذا وضع على رأس الشاش أو الشاشية وشد وسطه بالحزام، المطرزين والتي تعتبر من المظاهر الأصلية في اللباس الجزائري.

مولود فرعون في هذا المقطع وفق في تقديم صورة الرجل الجزائري الأصيل بأزياءه عكس بعده الحضاري كما أن للمرأة الجزائرية دورها في المحافظة على أصالتها وتراثها، فالزي القبائلي كان حاضرا برمزية في الرواية إذ يقول مولود فرعون في هذا المقطع"... كانت

---

[1] المصدر نفسه، ص 90.

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 23

تشكل بدورها عنقودا مفعما بالضجيج ومتعدد الألوان يغلب عليه اللون الأسود بالمنديل واللون الأحمر للفوطات"[1]

ويقول في موقع آخر معبرا عن اللباس النسوي بدقة:" كانت ترتدي" قندورة بيضاء" ذات ورود صغيرة وعلى خاصريها فوطة من القطن يمسكها خيط بدلا من الحزام، فلم تكن تطيق حزام الفلانيلا المعهود لدينا"[2] اللباس القبائلي ترتديه المرأة القبائلية تتم خياطته اللباس القبائلي من الحرير مع التصاميم والتي غالبا ما تكون من نفس لون القماش واللباس القبائلي مزين بحاشية متحرجة متعددة الألوان، كما أن اللباس القبائلي يختلف من منطقة لأخرى ويكون مع اللباس القبائلي يلف الثوب، وتعتبر رمزا للمرأة القبائلية فهو بعتر عن الحضارة الامازيغية ومتداول منذ مآت السنين.

ب- مظاهر الهوية الثقافية اللا مادية في الرواية:

- **المظاهر الدينية:**

يعرف الدين بأنه مجموعة من الأفكار والمبادئ والعقائد، الذي يعتبرها الكون والحياة فالدين يدل على جزء كبير من هويتهم وحضارتهم الإنسانية، كما تبدأ أهمية الدين وأخذ أشكالا مختلفة ذكرت على الاعتقاد والسلوك والأخلاق في الحياة، فالدين هو مرتكز للهوية والانتماء القريب إلى أمة من الأمم.

تزخر رواية ابن الفقير بالعديد من المفردات الدينية الإسلامية، والإيمان بالعقيدة الإسلامية ويظهر ذلك من خلال أن مولود فرعون متأثر بالعقيدة يظهر ذلك في عدة

---

[1] المصدر نفسه، ص 44

[2] المصدر نفسه، ص 100

محطات من الرواية في قوله:" .... ومنتظر مثلهم بقدرية لا مبالية وبتأكيد قاطع كما يقول اليوم– الذي يدخل فيه جنة محمد عليه الصلاة والسلام"[1]

ففي هذه العبارة تصريح واضح بهوية العقيدة التي ينطوي تحتها كل مسلم مؤمن بخاتم الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام وقارئ هذه العبارة يلحظ جيدا أن الكاتب مؤمن بالركن الرابع من أركان الإيمان وهو الإيمان بالرسل" 169 من سورة آل عمران:" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحيا عند ربهم يرزقون"، مولود فرعون متأكد ومتيقن بأن الذين قتلوا في سبيل الله احياء عند ربهم يرزقون فهم شهداء رهنوا أنفسهم من اجل حماية وطنهم، فهو مؤمن يقول الله سبحانه وتعالى وهو منتظرا بتأكد قاطع دخولهم الجنة.

فمن حسن الظن بالله أن يأمن المسلم بأن كل ما يقع في الكون هو بمشيئة الخالق، أي الإيمان بالقضاء والقدر وفورولو مؤمن بأنه لا يملك قدره وإنما هو بيد الله عز وجل، إذ يتضرع لله في هذا المقطع قائلا:" لا أحد يملك قدره يالاسم يا رحيم إن كان قدره هناك في السموات العلا أن تكون قصة منراد فورولو معروفة للجميع فمن ذا الذي يستطيع أن يخلف ناموسك"[2].

في محطة أخرى يشير فورولو بالعقيدة الإسلامية قائلا:" يوم التجميد يوم مشهودا، بعين مسبقا بكثير من الحذر لا يجب أن يكون يوم الخميس ولا يوم الجمعة لأنه لا يجب عصيان النبي صلى الله عليه وسلم فيهما"[3].

على الرغم من أن هذا اليوم مهم جدا عند أفراد القرية إلا أنه لا يمكنهم عصيان النبي صلى الله عليه وسلم والمساس بمقومات العقيدة الإسلامية فإن يوم الجمعة يوم عظيم فهو

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 12

[2] المصدر نفسه، ص 13

[3] المصدر نفسهن ص 62

يوم يتوجه فيه معظم الناس إلى المساجد للاستماع إلى خطبة الجمعة فهي تزيدهم أيمانا وتثبت قلوب المؤمنين على الدين الإسلامي.

كما جاء على لسان فورولو الصغير:" وفي كل عام كان والدي يذبح خروفا أحياء لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو فخور بأنه لم يدفع فلسا واحدا"[1]

فمن خلال هذا المقطع يتضح لنا أن عائلة فورولو منراد اكتمل إيمانهم بالشريعة الإسلامية عند إحياء هذه السنة، وهي سنة محمد موروثة عند النبي إبراهيم، دليل على إيمانهم بالركن الرابع من أركان الإيمان ألا وهو الإيمان بالأنبياء والرسل.

كما برزت الهوية الإسلامية من خلال المقطع الآتي: " ما كنت ترغب فيه هو أن تقود أتها المرابطين الزوايا الذائعة الميت لتخليصها من الأرواح الشريرة"[2].

وتعني الرواية معهد أو منظمة تطبق وتدرس العلوم الإسلامية كما تهدف إلى التربية الدينية وغالبا ما تكون مؤسسة من طرف شيخ صوفي وهي راسخة في الذاكرة الاجتماعية.

- **المظاهر الاجتماعية:**

تسبح العناصر الثقافة الاجتماعية داخل رواية ابن الفقير في حقول دلالية باعتبار البيئة الجزائرية خصبة بالمظاهر الاجتماعية التي تطفو فوق كل عمل أدبي ينجز فيها، ومن ذلك ما سنراه في هذه الرواية التي اختار صاحبها أن يقدمها لنا شاهدا على حقبة تاريخية حدثا فيها الامتزاج بين الثقافة الجزائرية العربية الإسلامية والثقافة الأوروبية الفرنسية المسيحية من خلال غزو استعماري.

---

[1] المصدر نفسهن ص 78

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 114

ومن أهم المظاهر التي تجسد الثقافة الاجتماعية في هذه الرواية هي صورة تجمع شيوخ القرية في مقر تاجماغث، والمقصود بتاجماغث هي مكان يقع وسط الحي فهناك توجد القرية ثلاثة أحياء سكنية فقط وجدت ثلاثة جماعات والتي هي عبارة عن بلاطات تعريفية وطويلة مصنوعة من الحجر محفورة على جوانبها وكانت تحيط بها مقاعد حجرية محفورة على جوانبها، وكانت تحيط بها مقاعدة حجرية كثيرة فهذا المكان كان يلفضه الكثير من الفلاحين القبائل والذي يقضون أوقات راحتهم وفراغهم ذلك أنه:" وليس من عادة الفلاح أن يقضي أغلبية فراغه في داره وسط النساء والأولاد، الجماعة ملجأ مضمون غير مكلف ورحب"[1]

كما أن الرواية احتوت على عناصر اجتماعية أخرى ومنها الألعاب الشعبية، منها" لعبة الدامة" التي غالبا ما يتداول عليها أفراد المنطقة في تاجماغث أو مرودها مولود فرعون لوصف دور جماعة تاجماغث قائلا": نجد حيثما اتجهنا نفس لعبة" محفورة على الصفائح والتي تلعبها بالحصى"[2]

فهذه اللعبة هي لعبة دخيلة أجنبية على المجتمع الجزائري، إذ ظهرت اللعبة في أواخر عام 1100م في جنوب فرنسا وبعدها انتشرت في جميع أنحاء العالم، وهذا ما يدل على أن الاستعمار الفرنسي على الجزائر كان له أثر بالغ على المجتمع.

اما المهن التي كان يمارسها كافة الشعب فهي مهن بسيطة تدل على بساطة أصحابها ومنها المهنة الرعي الفلاحة، العمل في الرحى... الحياكة الصوف أو غزلها، بحيث تتداول النشوة على هذه المهنة، ينصب المنسج على ساحة المنزل، وعلى بعد مسافة قصيرة من الحائط تجلس المرأة خلفه مسندة ظهراها على الحائط تأخذ في تمرير الشدى في اللحمة الطارقة تلك الخيوط بخلال حديدية، قصد صناعة سجاد مطرز بتنوع الرموز الخاصة، ذات دلالة اجتماعية وقد ذكر الكتاب ذلك أثناء وصفه لخالته أثناء عملية حياكة

---

[1] المصدر نفسهن ص 22

[2] المصدر نفسه، ص 16.

الصوف قائلا:" ينصب المنسج عموديا على بعد مسافة قصيرة من الحائط ويبقى هنا وقت ما شيئا وبكيفية ما تقضي فيه خالتي وقتها الضائع تجلسان مسندتين ظهريهما على الحائط وتأخذ في تمرير السدى في اللحمة طارقة الخيوط بخلالة حديدي (....) قبل نصب المنسج فإن خالتي تنهكهما إما في تمشيط الصوف المغسول، أو في غزله"[1]

إضافة إلى هذه المظاهر الثقافية المذكورة سابقا تجلب في الرواية بعض المعتقدات المتعلقة بالأشخاص والسلوكيات كما يظهر من خلال هذا المثال الذي يتحدث عن رتبة اجتماعية كان يحملها بعض الناس المبدعين دلالتها وتعني(أشراف) ينسبون إلى أهل الدولة المرابطية ببلاد المغرب، يقصدهم الناس للإشادة والتداوي وعادة ما يختلط بهؤلاء المشعوذين والدجالون، وقد ذكر ذلك فرعون أثناء مرض ولده والإتيان بشيخ المرابط بصدد كتابة تميمة لولده يقول" أيقظ المرابط المريض لاستجوابه كان رمضان يرد بعقلانية على أسئلة الشيخ وهذا لم يمنع الطالب من إنتاج معاني خفية للكلمات، بحسب أن الجنون أزعجوا أثناء الليل بالقرب من منبع محاذ للمنشر وأنهم ولجوا الجسد لأنه لم تؤخذ الاحتياطات اللازمة لطردهم بواسطة الصيغة المعتادة التي تشبه شيئا"[2].

فمن خلال هذه الدراسة يتبين لنا ان الكاتب كان هدفه أن يبين لنا بعض معتقدات الشعب الجزائري في بيئة اجتماعية قبائلية التي هي بينت أحداث الرواية.

أ- **المسكن:** يقول مولود فرعون:" وهناك بعض البناءات الواعدة التي شيدت حديثا بفضل النقود الوافدة من فرنسا، تعرض تلك الدور... وقرميدها الأحمر وسط ذلك الخراب العام غير أننا نشعر أن ذلك الشيخ ليس في محله بالنظر إلى هذا الإطار"[3]

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 63

[2] المصدر نفسه، ص 17

[3] المصدر نفسه، ص 19

يقصد ملولود فرعون من هذا القول بأن هذه البناءات تختلف عن البناءات المعروفة عادة في المنطقة والذي سبق وصفه في بداية الرواية، كما يأكد فرعون بأنه ليس من المؤيدين لهذا النوع من المنازل لأنها لا تتناسب مع الإطار العام، كما أنها محل لتباهي والتفاخر.

" والأمهات ربات البيوت اللواتي يتمتعن بذوق راق يحصصن كل بيت بنفس الكمية، يحصص أساس الجدران بارتفاع متر وينهين بشريط أخضر غير مستقيم يحصلن عليه من الفطر المسحوق، وما فوق ذلك الخط إلى غاية السقف يطلين بصلصال أبيض عليه بشق الأنفس"[1]

فيصف ملولود فرعون في هذا المقطع كيف يتم المسكن من طرف ربات البيوت حيث يوضع القطر المسحوق الأخضر اللون لطلاء أركان الحيطان إذ يجدد بحاشية خضراء غير مستقيمة يحصلن عليها بشق الأنفس ثم يشير فرعون إلى أن الطلاء يتجدد سنويا أو كل شهرين أو ثلاثة أشهر حسب الإمكانيات المادية لكل عائلة.

3. المظاهر اللغوية:

تعتبر اللغة من العناصر الأساسية للهوية، باعتبارها وسيط لتواصل والتخاطب ونقل الأفكار فالهوية تقم مكونات ثابتة وأخرى متحولة يزداد خطر المس الهوية عندما يفقد المجتمع القدرة على الحفاظ على الثوابت المميزة للهوية مثل اللغة وباقي السمات الأساسية المحددة للهوية وأن كانت اللغة تعد مؤشرا على الحضارية والمجتمع ومرآة عاكسة لمكونات التطور واتجاهاته فإننا نجد اللغة العربية المقوم الأساسي للهوية العربية الإسلامية.

وإذا أمعنا النظر بأنه لا يكاد يخلو مجتمع أو امة ما في العالم لا يعاني من مظاهره الازدواجية اللغوية، وقلما نجد بلد واحد مجتمعا تبقى أو يتكلم لغة واحدة على الأقل اللغة الأم، ربما ذلك راجع لأسباب حضارية وتاريخية نحو مخلفات الاستعمار الثقافية ونعني

[1] المصدر نفسه، ص 20.

بالازدواجية اللغوية هنا لدى فرد ما أنه عندما يستطيع أن يعبر عن حاجاته وأغراضه ومقاصده بأكثر من لغة.

إن الإزدواجية اللغوية حل لا مفر منه، الهدف واحد ألا وهو الوقوف أمام المستعمر ومحاربته بلغته وإيصال ما يداخله وما يعيش الشعب الجزائري والقضية الجزائرية للعالم وإذا ما قلنا مخلفات الاستعمار تذهب أذهاننا إلى النتائج والمخلفات السلبية من تعذيب وقتل وتشريد ونهب وهدم وطمس الهوية المستعمر لكن في الحقيقة قد تكون للاستعمار مخلفات إيجابية تعود علينا بالفائدة لا ندركها ولا نلامسها بحكم قلتها أو ندرتها ومن بين هذه الإيجابيات الأدب الجزائري الذي كتب باللغة الفرنسية.

إن الكتاب الجزائري، إذا اختار لغة المستعمر لا يعني ذلك أن اللغة العربية لا توفي بالغرض وإنما هو مدرك " ومؤمن بأن الكتابة باللغة الأم ستكون أصدق وأكثر قدرة على التعبير عن حقيقة أفكاره، وستكشف الكتابة بهذه اللغة ذاتها من حيث هي جزء من المعالم هوية المجتمع الجزائري"[1]

إن رواية ابن الفقير" هي رواية ذات هوية عربية بحكم موضعاتها لا لغتها، فالروائي يتناول بيئة عربية وتقاليد عربية، جزائرية وبالتالي، فهو يتحدث عن الثقافة ومن يكتب عن ثقافة مجتمعه يغير لغة قومه، هذا يعني أنه خلق أزمة لغوية، فمولود فرعون أراد أن تكون للغة العربية دور مميز في روايته ابن الفقير، إذ احتوت الرواية على العربية الدارجة والامثال الشعبية.

---

[1] بن علي لونيس، هكذا تكلم مالك حداد ما معنى أن نكتب بلغة الآخر؟ مجلة فصيلة تصدر عن مديرية الثقافة لولاية الجلفة، العدد 03، 2014، ص 44

يقول ملود فرعون": ووينشبن سقبرا مك لحاليب سرداخل" معنى المثل بالعربية" يالمزوق من برا واش حالك من الداخل"[1] تعتبر الأمثال الشعبية أكثر الأشكال اللغوية انتشارا وشيوعا على ألسنة الناس حيث تعتبر هذه الأخيرة على أحوال الناس ومشاعرهم.

أراد فرعون من خلال هذا المثل الأخير أن يظهر شخصية الفرد من خلال ذاته فإذا ما نظرنا إلى معنى العميق للمثل نجده ذو دلالة على أن المظهر الخارجي يختلف تماما على المظهر الداخلي، " بل تجد نفسك مباشرة في الساحة الكبرى للقرية " ساحة الموسيقيين" أنها مقر تاجمغث"[2]

وكلمة (تاجمغث) تعني الجماعة باللغة القبائلية كما ورد في المثال السابق، وكما تبدوا اللفظة تابعة لسياق ثقافي خاص بمطقة القبائل إذ تعمد فرعون اقتراض العبارة من القبائلية إلى الفرنسية، حيث وردت في النص الأصلي بالصبغة المحلية la tagjmert

يقول مولود فرعون" نحن جيران لنعيم لا للجحيم"[3]، عبر الروائي عن مثل قبائلي باللغة الفرنسية ليعبر عن مدى تقدير أجداده لعيشة الجماعة كونهم كابدوا العزلة وأصبحوا بذلك يقدرون عيشة الجماعة حق قدره ويدعون إلى مشاركة الجيران أفراحهم، ونفهم أن معنى المثل هو أن عيش الديران في تفاهم واتحاد يجعلهم ينعمون بعيشة هنيئة شبهها بالجنة.

أ. أسماء الأعلام:

من الملاحظ أن رواية ابن الفقير تزخر بالكثير من أسماء الأعلام مما تأكد لنا ظهور الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري والهوية الأمازيغية للكاتب.

---

[1] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 17

[2] مولود فرعون، ابن الفقير، ص 15

[3] المصدر نفسه، ص 17

يقول مولود فرعون" كان منزل والدي يقع في أقصى شمال القرية في الحي الأسفل منها ونحن في القرية آيت مزوز عائلة أيت موسى ونلقب بمنراد"[1] فكلمة آيت لها أصل أمازيغي وتعني باللغة العربية ابن أو ولد، فرعون كما نلاحظ أن مولود فرعون يفتخر جدا بأصله ونسبه مما زاد أهله في النص الأصلي آيت مزوز وآيت موسى، وأكد على الكلمة الامازيغية المحلية لإبراز الهوية الأمازيغية.

يقول فرعون:" لا أعتقد على أم عمي لونيس ويسمى والدي رمضان، غير أن الناس تعودوا على مناداتهم في الحي باسم " أولاد شعبان"فاسم رمضان اسم عربي جزائري (محلي) مذكر، مقتبس من الشهر التاسع مع الأشهر العربية، وهو شهر مبارك لدى المسلمين شهر الصوم، ورد ذكره في القرآن الكريم، دون سائل الشهور الأخرى، كذلك نفس الملاحظة بالنسبة لاسم شعبان في المقطع الآتي:" فضل أعمامهم وأخوالهم دون شك تخليد اسم شعبان لكي يظهروا للناس أن التييمين لهما سند ينتميان إليه"[2].

" كان يمكن أن يطلق عليها اسم أولاد تسعديت واسم جدتي"[3] ورد لفظ تسعديت هنا تبعا للنطق المتداول في المنطقة والذي يبرز أن الإسم عربي حرف (العين) الموجود في اللغة العربية دون غيرها من اللغات،" لا أعتقد أن جدتي قد أشتكت يوما من والدتي فاطمة"[4] اسم فاطمة هو اسم مؤنث عربي وهي تمثل في الرواية أم مولود فرعون، وهي نسبة إلى اسم ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم " فاطمة الزهراء" ومعنى الاسم في اللغة العربية المرأة التي تقطع عنها والدها.

---

[1] المصدر نفسه، ص 23

[2] المصدر نفسه، ص 23

[3] مولود فرعون، ابن الفقيرن ص 23

[4] المصدر نفسه، ص 29

- أصل حليمة زوجة عمي من الحي الأعلى"[1]

فاسم حليمة هو اسم علم مؤنث عربي، وهو صفة مشبهة الحلم هو العقل معناه العاقلة الصبورة المتحملة رغم أن الرواية كتبت بلسان الفرنسي إلا أن الكاتب أبى أن يتخلى عن محليته.

[1] المصدر نفسه، ص 25

الخلاصة:

استطاع مولود فرعون من خلال روايته ابن الفقير أن يجد لنا صورة شاملة على المجتمع الجزائري وبالتحديد المجتمع القبائلي كما انه بين لنا أهم القضايا الاجتماعية الاي انتشرت في المجتمع الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي.

رغم أن الرواية كتبت بلسان فرنسي، إلا أن مولود فرعون أبى أن يتخلى عن محليته ويتمنى الاعتراف بهويته الأمازيغية العربية الإسلامية كأساس ركن في شخصيته.

إن علاقة الهوية بالثقافة علاقة وطيدة بحيث يصعب الحديث عن الهوية الثقافة والعادات والتقاليد والتراث الاجتماعي التي بها جميعا تبنى حضارة أمة ما.

خاتمة:

وفي الأخير توصلنا إلى النتائج التالية:

يمثل الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية صوت الشعب الجزائري والواقع المأساوي المعاش بالإضافة إلى آمال وتطلعات الجزائريين، كما أن الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية بشكل خاص حملت مضامين اجتماعية وفكرية جزائرية إلا أن بعض النقاد شككوا في انتماء الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وطرحوا إشكالية الهوية لهؤلاء الكتاب.

نصل من خلال دراستنا هذه أن الكتاب الجزائريون الذين كتبوا باللغة الفرنسية أظفروا إلى الكتابة بلغة العدو، وعلى الرغم من استخدامهم للغة غريبة عن واقعهم الذي يعبرون عنه إلا ذلك لك تمكن من تشكيل حاجر بينهم وبين مجتمعهم ولم تستطيع هذه اللغة الأجنبية النيل من شخصياتهم وأصالتهم وتقاليدهم، فالهوية الجزائرية كانت واضحة وجلية في مختلف أعمالهم الروائية، بالإضافة إلى أنهم تغنوا بأصالتهم وتقاليدهم الجزائرية في مختلف أعمالهم إذ أن هذا الأدب الذي ولد في فترة الاستعمار أين كانت الظروف قاسية وفي وقت كان فيه المحتل يبذل جهده لكي يهدم مقومات الشخصية الجزائرية أمام الرأي عام العالمي، حيث تعد الرواية الجزائرية الناطقة باللغة الفرنسية إحدى الآثار التي خلفها الاستعمار.

إن رواية الفقير لمولود فرعون كانت مادة غنية بالمعاناة فقد قدمت لنا الصورة المأساوية التي تخبطت فيها الأسر الجزائرية جراء المحتل الذي عمل على نشر الفقر والجهل والخرافات فكانت الرواية بمثابة مرآة عاكسة للمجتمع الجزائري آنذاك.

احتوت رواية ابن الفقير على مختلف القضايا الاجتماعية التي لا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات منها وهي الصراعات داخل أفراد الأسرة وصراعات بين أفراد القرية إلى قضية هجرة رب العائلة بحثا عن لقمة العيش في ظل الظروف الصعبة التي تفرض عليه ذلك.

الهوية الوطنية تكمن في الروح التي كتبت لها أو الحرف المعبر عنه، فروح الأديب الجزائري تغوص في أرض دون تمييز، فهم يبحثون أدبا وإبداعا جزائريا بامتياز.

إن هوية الفرد هي حقيقة العميقة داخله وعلى الرغم من هوية المؤلف" مولود فرعون" الامازيغية إلا انه يعتبر بهويته العربية الإسلامية فلدينا دين واحد ولغة رسمية ولهجات محلية تجمعنا ونفتخر بها، ولدينا اهتمامات بالإنسان وبالحب وبالأمان والسلام والحرية وبأشياء أخرى كجميع الناس، وكل هذا ينعكس على الأدب الجزائري سواء باللغة العربية أم الفرنسية والذي لا يمكن فصله عن الأدب العربي بأي وجه.

إن سعة الموضوع الذي تطرقنا إليه يجعلنا نشعر ونحن على أبواب نهايته بأننا لم نستفض بما فيه الكفاية فيه وبالتالي نأمل أن يكون عملنا هذا نقطة ارتكاز لدراسات أخرى.

مسرد المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **المصادر والمراجع بالعربية**

1. أحمد منور، الادب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007، ص32.
2. أحمد منور، ملامح أدبية دراسات في الروايات الجزائرية، دار الساحل للنشر والتوزيع (د.ط) (د.د.ت)، ص24.
3. آسيا جبار ، القلقون منذر الجابري منشورات– دار الاتحاد ، بيروت لبنان، ص 194.
4. ابن رشد تلخيص ما بعد الطبيعة لأرسطو طالبة، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، مصر، 1958، ص 21.
5. أحمد حمد التعليمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية، ص 33.
6. بلقاسم دفة، التحليل السينيمائي للبنى السردية رواية" حمام سلام" لنجيب الكيلاني أنموذجان الملتقى الوطنية الثاني المنشورات الجامعية، بسكرة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص 37.
7. جبور آم الخير، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار سوسيو نقدية، دار ميم للنشر، ط1، 2013، ص 36، 37.
8. حسن بحراوي بداية الشكل الروائي المركز الثقافي العربي بيروت، ط2، ص 228.
9. حفيظة احمد بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية منشورات مركز أوغاريين الثقافية رام الله ، فلسطين، 2007، ص 173.
10. حميد لحميداني: بنية النص السردي المركز الثقافي العربي، ط1، 1991، ص 58.

11. سعد البازني شرفات الرؤية حول العولمة للهوية المركز الثقافي للنشر والتوزيع 2005، ص25.
12. سعيد محمد، مقدمة في أنثروبيولوجيا الثقافة الشعبية، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص 10-11.
13. سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر منشور المكتبة العصرية، د.ط، بيروت، لبنان، 1967، ص 146.
14. عايدة أديب باهية، الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982، ص 25.
15. عبد المجيد حنونة صورة الفرنسي في الرواية المغاربية 1986، ص 99.
16. عبد العزيز التويجري، الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلامية ، ص 09.
17. عبد الله الركيبي، الفرانكفونية مشرقا ومغربا، دط، الكتاب العربي، ص 39.
18. عبد الهادي الفيقلي، مشكلة الفقر دار الزهراء للطباعة والنشر، ص3، 1988، ص 122.
19. فرحات عباس ليل الاستعمار، منشورات ANEP اتلمؤسسة الوطنية، المطبعية الرغاية ، الجزائر 2006، ص 30.
20. فهد حسن المكان في الرواية الجزئية أفراد بين للنشر والتوزيع البحرين، 2009، ص 20.
21. فيصل دراج، نظرية الرواية العربية المركز الثقافي العربي بيروت، 2003، 288.
22. محمود قاسم ، الأدب العربي المكتوب بالفرنسية لهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1996، ص 104.
23. مهدي عيب جماليات المكان في ثلاثية عناوين الهيئة العامة السورية، 2011، ص 44.

24. محمد إبراهيمي تحليات المكان في السرد الحكائي فضاءات للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، ص21.
25. واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 142.
26. يمين العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط2، دار الفرابي، بيروت، 2005، ص84.

- المراجع بالفرنسية:

1. Dalila BELKACEM « «de texte ta graphique au texte rommes que dans le Fils du pauvres » de M.F, 2005, UR-T http//insamia ant levres org/4649.

voir : wadi bougar : la mouvance et le pousse, te, SNED, Alger. 1983 ; p133.

2. tayeb bellaila : les algériennes en France, ED nationales algériennes, Alger, 1965, p13.

- المراجع المترجمة:

1-عايدة أمينة أديب تطور الأدب القصصي في الجزائر (1925-1967) تر: محمد صقر ديوان المطبوعات الجامعية، دطن 1962، ص 53.
2-فاطمة الزهراء حبيب، تر: الثاقفة في الرواية ج،م بالفرنسية معهد الترجمة جامعة وهران 2015، ص 45.
3-كوبر آدم، الثقافة، التفسير الأنثرويولوجي، ترجمة، الدملوجي المنظمة العربية للترجمة، ص 19.
4-كانت ياسين نجمة، تر: محمد قويعة، دار سراس للنشر، تونس، 1948، ص 232.

- المجلات والدوريات:

1. بن علي لونيس: هكذا اتكلم مالك حددا، ما معنى أن نكتب بلغة الآخر؟ مجلة مسارات مجلة فصيلة تقدر عن مديرية الثقافة لولاية عين الجلفة، العدد03، 2014، ص44.
2. سهام السرور، الزمن في سهيل أدريس، مجلة ثقافية فصيلة العدد 87، الأردن، ص 02.
3. نور سليمان الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ص 172، المجلة نفسها ، ص 72.
4. نوال بن صالح الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير الصراع اللغة الهوية مجلة المخبر أبحاث في اللغة الأدب الجزائري العدد 07، جامعة بسكرة 2011، ص 223، 224.

- **المعاجم والقواميس:**

1.أحمد عاطف عيش، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2006، ص 73.

2. ابن منظور لسان العرب، انتاج المستقبل للنشر الالكتروني، بيروت لبنان 1995.ص 68.

3. لويس معلوف المنجد في الغة والأدب والعلوم الطبيعية لابيرو مادة هوية، ص 565، ص 564.

4. لطفي زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان فاشرون، دار النهار للنشر ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص 20.

- - **الرسائل الجامعية:**

1. أمين الراوي الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، تطور العلاقة لإنتاج الروائي بالإيديولوجية ص 1830 إلى 1982، رسالة ماجستير، 1963ن ص 320.

2. إلهام علول: بنية الخطاب الروائي عند واسيني الأعرج من خلال رواياته الأخيرة (ضمير الغائب سيدة المقام، ذاكرة الماء) رسالة الماجستير.

كمال لحمر، صورة المجتمع الجزائري في LA LAREVVE AFRICAIN 1956-1967 أطروحة لنيل شهادة الدكتورة، جامعة منسوري ، قسنطينة، 2010-ص 275.

- **الموقع الالكتروني:**

- http///www.lesan arabe.com
- 2016/02/14 http//www.alsaker.com

الملحق:

نبذة عن حياة مولود فرعون:

ولد مولود فرعون يوم 08 مارس من سنة 1913 بتيزي هبيل البلدية المختلطة ل=فور ناسيونال (الأربعاء نث إيراثن) (فرعون هو اللقب الذي منحته له مصالح الحالة المدنية الفرنسية، اما لقبه هو شعبان وهو لقب ذويه).

في سنة 1920وقد كان في السابعة من عمره، دخل إلى مدرسة تيزي هبيل وحصل على منحة دراسية بالمدرسة الابتدائية العليا بتيزي وزو .

وفي سنة 1932 انتسب إلى مدرسة تكوين المعلمين ببوزريعة تلقى فيها تكوين طبعه طيلة حياته على مستوى الاديولوجي والجمالي واللساني وفيها تعرف على إيمانويل روبلس.

وفي سنة 1935 تمت تسميته معلما بتيزي وزو تزوج ابنة عمه ذهبية (وانجب منها 07 أطفال).

وفي سنة 1946 تم تعيينه بتاوريت وفي سنة 1952 تم تعيينه مديرا للمدرسة التكميلية بالأربعاء ناث إريثن وفي سنة 1957 غادر القبائل متجها إلى مدرسة نادوريكلي سلاميني (بأعالي العاصمة) وكان مديرا لها.

وفي سنة 1960 أصبح مفتشا للمراكز الاجتماعية (بالقصر الملكي ماشا تونون بن عكنون)

وهناك تم اغتياله رفقة خمسة من زملائه، يوم 15 مارس 1962 من طرف عون من أعوان المنطقة الخامسة كان قد بدأ بكتابة ابن الفقير في عطلة الربيع من سنة 1939 ولم ينشر المخطط إلا سنة 1950 على حساب المؤلف.

ترك الأديب عدة أعمال إبداعية وفكرية ترجمت إلى عدة لغات كالروسية والألمانية والبولندية ولعربية بالإضافة إلى الكثير من المقالات نذكر منها:

- أيام قبائلية: ويتكلم فيه عن عادات وتقاليد المنطقة طبع سنة 1954م.
- أشعار سي محند طبع سنة 1960م.
- نجل الفقير: كتبها في شهر أفريل سنة 1940م.
- الذكرى طبع سنة 1972م.
- الدروب الوعرة طبع سنة 1957.
- الأرض والدم طبع سنة 1953م.
- مدينة الورود طبع سنة 2007م.
- رسائل إلى الأصدقاء طبع سنة 1969م

وكلها تتكلم عن المعاناة الجزائرية تحت ظلم الاستعمار المحاولات العديدة لطمس هويته من تجهيل ونشر للمسيحية مقالات عديدة وكثيرة نشرت في عدة طبعات فرنسية وجزائرية.